

استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس

[ق/ ١٢] بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر وأعن يا كريم

[قال الشيخ الإمام العالم العلامة الأوحد ، شيخ الإسلام والسنة ، قامع البدعة ، بقية السلف الصالح ، وعمدة الخلف : أبو الفرج عبد الرحمن بن الشيخ الإمام القدوة أبي العباس أحمد بن رجب الحنبلي - رضي الله عنه وجزاه عن الأمة خيراً] .

الحمد لله الذي فتح على قلوب أحبابه من فيح محبته ، فعبق فيهم نشره وفاح ، وشرح صدور أوليائه بنور معرفته ؛ فأشرق عليهم نوره ولاح ، أحياهم بين رجائه وخشيته ، وغذاهم بولائه ومحبته ؛ فلا تسأل عما هم فيه من السرور والأفراح، فسبحان من ذكره قوت القلوب وقرة العيون وسرور النفوس وروح الحياة وحياة الأرواح ، وتبارك الذي من خشيته تتجافي عن المضاجع الجنوب ، وبرجاء رحمته تتنفس عن نفوس الخائفين الكروب ، وبروح محبته تطمئن القلوب وترتاح ، ما طابت الدنيا إلا بذكره ومعرفته ، ولا الآخرة إلا بقربه ورؤيته ، فلو احتجب عن أهل الجنة لاستغاث أهل الجنة في الجنة كما يستغيث أهل النار في النار ، وأعلنوا بالصياح ، كل قلوب تألهت سواه فهي فاسدة ليس لها صلاح ، وكل صدور خلت من هيبته وتقواه فهي ضيقة ليس لها انشراح ، وكل نفوس أعرضت عن ذكره فهي مظلمة الأرجاء والنواح ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾ [النور : ٣٥] .

أحمده ونشر ذكره كلما نشر فاح ، وأشكره ، ومزيده على الشاكرين يتجدد بالغدو والرواح .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك ، له شهادة استمدها سلاحًا على الأعداء ، فنعم الجنة ونعم السلاح ، واستعدها مفتاحا لباب دار البقاء ، فما للجنة

سواها مفتاح ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، بعثه مفصحًا بتوحيده أي إفصاح، موضحًا لعبيده سبيل الهدى كل الاتضاح ، فلم يزل ﷺ يعرف بالله حتى يعرف توحيده في جميع النواح ، ويخوف بالله حتى لانت القلوب القاسية وصلحت كل (الفلاح) [1] [(*) ويذكر بآلاء الله حتى انشرحت القلوب بمحبته أعظم انشراح ، وصلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تكون سببًا للفلاح ، فحي على الصلاة وحي على الفلاح.

أما بعد ؛ فإن الله ـ تعالى ـ خلق الخلق وأوجدهم لعبادته الجامعة لخشيته ورجائه ومحبته كما قال تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات : ٥٦] وإنما يعبد الله ـ سبحانه ـ بعد العلم به ومعرفته ، فبذلك خلق السموات والأرض وما فيهما للاستدلال بهما على توحيده وعظمته كما قال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق : ١٢] وقد علم أن العبادة إنما تبنى على ثلاثة أصوال : الخوف والرجاء والمحبة .

وكل منهما فرض لازم ، والجمع بين الثلاثة حتم واجب ، فلهذا كان السلف يذمون من تعبد بواحد منها وأهمل الآخرين ؛ فإن بدع الخوارج ومن أشبههم إنما حدثت من التشديد في الخوف والإعراض عن المحبة والرجاء ، وبدع المرجئة نشأت من التعليق بالرجاء وحده والإعراض عن الخوف ، وبدع كثير من أهل الإباحة والحلول ممن ينسب إلى التعبد ، نشأت من إفراض المحبة والإعراض عن الخوف والرجاء .

وقد كثر في المتأخرين المتسبين إلى السلوك تجريد الكلام في المحبة وتوسيع القول فيها بما لا يساوي علي الحقيقة مثقال حبة ، إذا هو عار عن الاستدلال بالكتاب والسنة ، وخال من ذكر كلام من سلف من سلف الأمة وأعيان الأئمة ،

(١) في المطبوع : الصلاح .

(*) من هنا حدث سقط في النسخة الخطية التي بين أيدينا حتى عبارة : « وأمنحهم رياض قدسي » في الباب السابع .

وإنما هو مجرد دعاوي ، قد تشرف بأصحابها على مهاوي ، وربما استشهدوا بأشعار عشاق الصور ، وفي ذلك ما فيه من عظيم الخطر ، وقد يحكون حكايات العشاق ، ويشيرون إلى التأدب بما سلكوه من الآداب والأخلاق ، وكل هذا ضرره عظيم ، وخطره جسيم .

وقد يكثر ذكر المحبة ويعيدها ويبديها من هو بعيد عن التلبس بمقدماتها ومباديها ، وما أحسن قول ذي النون ـ رحمة الله تعالى ـ وقد ذكر عنده الكلام في المحبة فقال : « اسكتوا عن هذه المسألة ، لا تسمعها النفوس فتدعيها » فإن النفوس من الكبر والفخر والغرور « **والمتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور** »[1] ، وكثير ما تقترن دعوى المحبة بالشطح والإدلال وما ينافي العبودية من الأقوال والأفعال .

***

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢١٩) ، ومسلم (٢١٣٠) من حديث أسماء ، وأخرجه مسلم (٢١٢٩) من حديث عائشة .

محتويات الكتاب

وقد استخرت الله ـ تعالى ـ في جمع ما ورد في الكتاب والسنة ، وكلام أعيان سلف الأمة ، ومن سلك سبيلهم من العارفين الأئمة ، في محبة الله ـ جل وعلا ـ وعلاماتها وطرقها ولوازمها ومقتضياتها ، وإن كنت لا أستقصي ذلك كله؛ فإنه يطول جدا ، وإنما أذكر منه أبوابا أعدها عداً ، وهي اثنا عشر باباً :

(الباب الأول) : في لزوم محبة الملك القدوس وتقديمها على الأموال والأولاد والنفوس .

(الباب الثاني) : في بيان أن من أعظم المطالب وأهمها سؤال الله محبته على أكمل الوجوه وأتمها .

(الباب الثالث) : في بيان الأسباب التي تستجلب بها محبة رب الأرباب .

(الباب الرابع) : في علامات المحبة الصادقة من التزام طاعة الله والجهاد في سبيله واستحلاء الملامة في ذلك واتباع رسوله .

(الباب الخامس) : في استلذاذ المحبين بكلام محبوبهم وأنه غذاء قلوبهم وغاية مطلوبهم .

(الباب السادس) : في أنس المحبين بالله وأنه ليس لهم مقصود من الدنيا والآخرة سواه .

(الباب السابع) : في سهر المحبين وخلواتهم بمناجاة مولاهم الملك الحق المبين .

(الباب الثامن) : في شوق المحبين إلى لقاء رب العالمين .

(الباب التاسع) : في رضا المحبين بمر الأقدار وتنعمهم ببلاء من يخلق ما يشاء ويختار .

(الباب العاشر) : في ذكر خوف المحبين العارفين وفضله على خوف سائر الخائفين .

(الباب الحادي عشر) : في شرف أهل الحب وأن لهم عند الله أعلى منازل القرب .

(الباب الثاني عشر) : في نبذ من كلام أهل المحبة وتحقيقهم تقوى به القلوب علي سلوك طريقهم ، وسميته (استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس) فإن قلوب الأحباب تشتاق باستنشاق نسيم الاقتراب ، وقد خرج «الطبراني» [1] من حديث عمرو بن عبد الغفار - وهو ضعيف عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر مرفوعًا « أن الله - جل وعلا - يقول للجنة : طيبي لأهلك ليزدادوا طيبا » فذلك البرد يجده الناس في السحر من ذلك .

ويروى بإسناد فيه ضعف ، عن مجاهد ، عن عطية ، عن أبي سعيد قال : « إن الله - عز وجل - خلق جنة عدن من ياقوتة حمراء ثم قال لها : تزيني . فتزينت ، ثم قال لها : تكلمي . فقالت : طوبي لمن رضيت عنه . فأطبقها وعلقها بالعرش فلم يدخلها بعد ذلك إلا الله لا إله غيره يدخلها كل سحر ، فذلك برد السحر » .

وخرجه الحاكم والبيهقي بإسناد جيد عن مجاهد من قوله مختصراً ، وأنشد بعضهم :

تمر الصبا صفحًا بسكان ذي الغضا ويصدع قلبي أن يهب هبوبهـــا

قريبة عهد بالحبيب وإنمـــــــا هوى كل نفس حيث حل حبيبها

وقد قيل : إن القلب المحب تحت فحمة الليل جمرة ، كلما هب عليه نسيم السحر التهب . وأنشدوا في هذا المعني :

تذكرني مر النسيم عهودكـــم فأزداد شوقًا كلما هبت الريـــح

أراني إذا ما أظلم الليل أشرقتْ بقلبي من نار الغرام مصابيـــح

---

(١) في الصغير (١/ ٣٢) وقال : لم يروه عن الأعمش إلا عمرو بن عبد الغفار ، تفرد به يوسف بن موسى أبو غسان .
قال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٤١٢) : وفيه عمرو بن عبد الغفار ، وهو متروك .

أصلي بذكراكم إذا كنت خاليًا ... ألا إن تذكـار الأحبـة تسبيـــــح
يشح فؤادي أن يخامر ســـره ... سواكم وبعض الشح في المرء ممدوح
وإن لاح برق بالغوير تقطع الـ ... ـفؤاد على واد بـه البـان والشيـــح

والله المستعان وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

❊ ❊ ❊

الباب الأول
في لزوم محبة الملك القدوس
وتقديمها على حب الأموال والأولاد والنفوس

قال الله ـ عز وجل ـ : ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [التوبة : ٢٤].

قال أبو عبد الله محمد بن خفيف الصوفي : « سألنا أبو العباس بن سريج بشيراز فقال لنا : محبة الله فرض أم غير فرض ؟ قلنا : فرض ، قال : ما الدلالة على فرضها ؟ فما منا من أتى بشيء يقبل فرجعنا إليه وسألناه : ما الدليل على فرض محبة الله ـ عز وجل ـ ؟ فقال : قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ ﴾ ـ إلى قوله : ـ ﴿ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ [التوبة : ٢٤] قال : فتوعدهم الله ـ عز وجل ـ على تفضيل محبتهم لغيره على محبته ومحبة رسوله ، والوعيد لايقع إلا على فرض لازم وحتم واجب » .

وفي « الصحيحين » (١) عن أنس ، عن النبي ﷺ قال : « والذي نفسي بيده، لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين » .

وفي «الصحيحين » (٢) أيضًا أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال : «يا رسول الله ، والله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي . فقال : لا يا عمر حتى أكون أحب إليك من نفسك . فقال : والله لأنت أحب إلي من نفسي . فقال : الآن يا عمر » .

(١) أخرجه البخاري (١٤) ، ومسلم (٦٩) .

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٣٢) ولم يخرجه مسلم ، قال ابن كثير في تفسيره (٢/ ٣٤٣) : «انفرد بإخراجه البخاري ».

ومعلوم أن محبة الرسول إنما هي تابعة لمحبة الله جل وعلا ؛ فإن الرسول إنما يحب موافقة لمحبة الله له ، ولأمر الله بمحبته وطاعته واتباعه ، فإذا كان لا يحصل الإيمان إلا بتقديم محبته على الأنفس والأولاد والآباء والخلق كلهم ، فما الظن بمحبة الله عز وجل؟

وذكر ابن إسحاق عن المغيرة بن عثمان بن الأخنس ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن « أن النبي ﷺ خطب لما قدم المدينة فقال في خطبته [1] : « **أحبوا من أحب الله وأحبوا الله من كل قلوبكم** » .

وقد جعل النبي ﷺ تقديم محبة الله ورسوله على محبة غيرهما من خصال الإيمان ومن علامات وجود حلاة الإيمان في القلوب .

ففي « الصحيحين» [2] عن أنس رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : « **ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه ، كما يكره أن يلقى في النار**» .

وفي رواية «النسائي» [3] : « **ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان وطعمه : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب في الله ويبغض في الله ، وأن توقد نار [عظيمة] (*) فيقع فيها أحب إليه من أن يشرك بالله شيئًا** » .

وفي مسند الإمام أحمد [4] عن أبي رزين العقيلي قال : « **قلت يا رسول الله ما الإيمان ؟ قال : أن تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده**

---

(١) علقه ابن هشام في « السيرة النبوية » (٢/ ١٦٦ ـ ١٦٧) .
وأخرج البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٥٢٥) شطره الأخير .
(٢) أخرجه البخاري (١٦) ، ومسلم (٤٣) .
(٣) (٨/ ٩٤ـ٩٥) برقم (٤٩٨٧) .
(*) من سنن النسائي .
(٤) (٤/ ١١).
وقال الهيثمي في المجمع (١/ ٥٣ـ٥٤) : رواه أحمد ، وفي إسناده : سليمان بن موسي، وقد وثقه ابن معين وأبو حاتم وضعفه آخرون .

ورسوله ، وأن يكون الله ورسوله ، أحب إليك مما سواهما ، وأن تحرق في النار أحب إليك من أن تشرك بالله ، وأن تحب غير ذي نسب لا تحبه إلا لله ، فإذا كنت كذلك فقد دخل حب الإيمان في قلبك كما دخل حب الماء للظمآن في اليوم القائظ»[1] .

وروي من حديث المقداد بن الأسود عن النبي ﷺ قال : « من أحب الله ورسوله صادقًا من قلبه ، ولقي المؤمنين فأحبهم ، ومن كان أمر الجاهلية عنده كنار أججت فألقي فيها فقد طَعِمَ طَعْمَ الإيمان ـ أو قال : بلغ ذروة الإيمان»[2] .

ومن هذا المعني أن الله ـ تعالى ـ قال ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ ... ﴾ الآية [الممتحنة: ١٠] فأمر بامتحانهن ليعلم إيمانهن ، فكان النبي ﷺ يحلفهن أنهن ما خرجن إلا حبًّا لله ورسوله ، لم يخرجن رغبة في غير ذلك ؛ فيكون ذلك علمًا بإيمانهن .

قال ابن عباس في هذه الآية : « كانت المرأة إذا أتت النبي ﷺ لتسلم حلفها بالله : ما خرجتي من بغض زوج إلا حبًّا لله ورسوله؟ » .

وهو موجود في بعض نسخ الترمذي[3] كذلك .

وخرجه البزار في « مسنده »[4] ، وابن جرير[5] وابن أبي حاتم ، ولفظه:

---

(١) وهو الشديد الحر .

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٠/٦٠٦) .
وقال الهيثمي في المجمع (١/٨٨) : رواه الطبراني في الكبير، وفيه شريح بن عبيد ، وهو ثقة مدلس ، اختلف في سماعه من الصحابة لتدليسه .

(٣) برقم (٣٣٠٨) وقال : « هذا حديث غريب » .

(٤) برقم (٢٢٧٢ـ كشف) قال البزار : لا نعلمه يروى عن ابن عباس إلا بهذا الإسناد ، وأبو نصر لم يرو عنه إلا خليفة .
وقال الهيثمي في المجمع (٧/١٢٣) : وفيه قيس بن الربيع ، وثقه شعبة والثوري وضعفه غيرهما ، وبقية رجاله ثقات .

(٥) في تفسيره (٢٨/٤٤) .

«حلفها بالله ما خرجتي من بغض زوج ، وبالله ما خرجتي إلا حبًّا لله ورسوله ».

وخرج إبراهيم بن الجنيد الختلي في « كتاب المحبة » بإسناد ضعيف عن أبي هريرة مرفوعًا قال : « الإيمان في قلب الرجل أن يحب الله عز وجل » .

ومن مراسيل الزهري أن النبي ﷺ قال : «رأس الإيمان المحبة لله ـ عز وجل ـ وطابع الإيمان : البر والعدل ، وتحقيق الإيمان بإكرام ذي الدِّين وذي الشيبة » .

* * *

فصل

محبة الله على درجتين :

١ـ فرض لازم ٢ـ درجة السابقين

ومحبة الله ـ سبحانه وتعالى ـ على درجتين :إحداهما فرض لازم ، وهي أن يحب الله ـ سبحانه ـ محبة توجب له ، محبة ما فرض الله عليه ، وبغض ما حرمه عليه ، ومحبة لرسوله المبلغ عنه أمره ونهيه ، وتقديم محبته على النفوس والأهلين أيضًا كما سبق ، والرضا بما بلغه عن الله من الدين وتلقي ذلك بالرضا والتسليم ، ومحبة الأنبياء والرسل والمتبعين لهم بإحسان جملة وعمومًا لله ـ عز وجل ـ وبغض الكفار والفجار جملة وعمومًا لله ـ عز وجل ـ وهذا القدر لابد منه في تمام الإيمان الواجب ، ومن أخل بشيء منه فقد نقص من إيمانه الواجب بحسب ذلك .

قال الله عز وجل : ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥] وكذلك ينقص من محبته الواجبة بحسب ما أخل به من ذلك ، فإن المحبة الواجبة تقتضي فعل الواجبات وترك المحرمات .

وخرج أبو نعيم (١) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « **إن سالما ـ يعني : مولي أبي حذيفة ـ شديد الحب لله لو كان لا يخاف الله ما عصاه** » يشير إلى أن محبة الله تمنعه من أن يعصيه .

وذكر أبو عبيد في « غريبه » (٢) أن عمر قال : « نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه »(٣).

---

(١) في الحلية (١/١٧٧) وقال الشيخ الالباني ـ عليه رحمة الله ـ في ضعيف الجامع (١٨٦١): « موضوع » .

(٢) غريب الحديث (٣/ ٣٩٤)

(٣) نقل « العجلوني » في كشف الخفاء (٢/ ٤٤٦ـ٤٤٧) عن البهـاء السبكي والسـيوطي =

قال الحسن بن آدم : « أحب الله يحبك الله ، واعلم أنك لن تحب الله حتى تحب طاعته » .

وقال عبد الله بن حنيف : « قال رجل لرابعة إني أحبك في الله .

قالت : « فلا تعصي الذي أحببتني له » .

وسئل ذو النون : متي أحب ربي ؟ قال : « إذا كان ما يبغضه عندك أمر من الصبر ».

وقال بشر بن السري . « ليس من أعلام الحب أن تحب ما يبغض حبيبك » .

وقال أبو يعقوب النهرجوري : كل من ادعى محبة الله ـ جل جلاله ـ ولم يوافق الله في أمره فدعواه باطلة ، وكل محب ليس يخاف الله فهو مغرور ».

وقال يحيى بن معاذ : « ليس بصادق من ادعى محبة الله ولم يحفظ حدوده » .

وقال رويم : « المحبة الموافقة في جميع الأحوال » وأنشد :

ولو قلت لي مت مت سمعًا وطاعة وقلت لداعي الحق أهلا ومرحبًا

وقد تقدم أن العبد لا يجد حلاوة الإيمان حتى يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وحتى يكره أن يرجع إلى الكفر ، كما يكره أن يلقي في النار .

ولهذا المعني كان الحب في الله والبغض في الله من أصول الإيمان .

وخرج الترمذي [(١)] من حديث معاذ بن أنس الجهني ، عن النبي ﷺ قال : «من أعطي لله ومنع لله وأحب لله وأبغض لله ؛ فقد استكمل إيمانه » .

وخرج الإمام أحمد [(٢)] وزاد فيه : «وأنكح لله » وفي لفظ له أيضا[(٣)] « أن النبي ﷺ سئل عن أفضل الإيمان قال : أن تحب لله وتبغض لله وتعمل لسانك في

=وابن حجر اجتهادهم في البحث عن إسناد لهذا الحديث ، وعدم وقوفهم عليه .

(١) برقم (٢٥٢١) وقال : هذا حديث حسن .

(٢) (٣/٤٣٨ ، ٤٤٠) .

(٣) أخرجه احمد (٥/٢٤٧) من طريقين .

قال الهيثمي في المجمع (١/٨٩) : «وفي الأولى: رشدين بن سعد ، وفي الثانية ابن لهيعة وكلاهما ضعيف » .

ذكر الله» وخرج أبو داود [1] من حديث أبي أمامة ، عن النبي ﷺ قال : « **من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ؛ فقد استكمل الإيمان** » .

ومن حديث أبي ذر ، عن النبي ﷺ قال : « **أفضل الإيمان : الحب في الله والبغض في الله** » [2] .

وخرج الإمام أحمد [3] من حديث البراء بن عازب ، عن النبي ﷺ قال : «**إن أوثق عرى الإيمان أن تحب في الله وتبغض في الله** » .

ومن حديث عمرو بن الجموح ، عن النبي ﷺ قال : « **لا يجد العبد حق صريح الإيمان حتى يحب لله ويبغض لله ، فإذا أحب لله وأبغض لله فقد استحق الولاية من الله ، وإن أوليائي من عبادي وأحبائي من خلقي يُذكرون بذكري وأُذكر بذكرهم** » [4] .

وفي هذا المعني أحاديث كثيرة :

وروى ليث عن مجاهد عن ابن عباس قال : « من أحب في الله وأبغض في الله ووالى في الله وعادى في الله فإنما تنال ولاية الله بذلك ، ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك » . وقد صار عامة مؤاخاة الناس علي أمر الدنيا وذلك لا يجدي على أهله شيئًا . خرجه ابن جرير الطبري .

وخرج أيضًا بإسناده عن ابن مسعود قال : « من أحب لله وأبغض لله ومنع لله واعطى لله فقد توسط الإيمان » .

وخرج الحاكم [5] من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ عن النبي ﷺ قال :

---

(١) برقم (٤٦٨١) .
(٢) أخرجه أبو داود (٤٥٩٥) ، وأحمد (٥/١٤٦) بلفظ : « **أفضل الأعمال** » .
(٣) (٤/٢٨٦) بلفظ : «**إن أوسط ...**» وقال الهيثمي في المجمع (١/ ٨٩ ـ ٩٠) : رواه أحمد ، وفيه ليث بن أبي سليم ، وضعفه الأكثر .
(٤) أخرجه أحمد (٣/ ٤٣٠) .
قال الهيثمي في المجمع (١/٨٩) : فيه رشدين بن سعد ، وهو منقطع ضعيف .
(٥) (٢/٢٩١) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه . =

«الشرك أخفى من دبيب النمل على الصفا في الليلة الظلماء ، وأدناه أن تحب على شيء من الجور ، وتبغض على شيء من العدل ، وهل الدين إلا الحب في الله والبغض في الله ؟! قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾[آل عمران:٣١] » وقال : صحيح الإسناد ، وفيما قاله نظر ؛ ففي هذا الحديث أن محبة ما يبغضه الله وبغض ما يحبه الله من الشرك الخفي .

وروينا من طريق الأصمعي ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد أنه قال في قوله تعالى : ﴿ يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾ [النور:٥٥] قال : لا يحبون غيره » .

وحينئذ فلا يكمل التوحيد الواجب إلا بمحبة ما يحبه الله وبغض ما يبغضه الله، وكذلك لا يتم الإيمان الواجب إلا بذلك .

ومن هنا يعلم أن الإخلال ببعض الواجبات وارتكاب بعض المحرمات ينقص به الإيمان الواجب بحسب ذلك ، كما قال النبي ﷺ « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ... » [1] الحديث .

وروى الإمام أحمد [2] من طريق الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب قال : « من أصبح وأكبر همه غير الله فليس من الله » .

وقد روي هذا مرفوعًا من حديث أنس بأسانيد ضعيفة [3] .

= وتعقبه «الذهبي» قائلا : عبد الأعلى ، قال الدراقطني : ليس بثقة .

وأخرجه البزار (٣٥٦٦ ـ كشف) وقال : « لا نعلمه يروى عن عائشة إلا بهذا الإسناد». وقال الهيثمي في المجمع (١٠/٢٣) : رواه البزار ، وفيه عبد الأعلى بن أعين، وهو ضعيف .

(١) أخرجه البخاري (٢٤٧٥) وفي مواضع أخر ، ومسلم (٥٧) .

(٢) في الزهد (ص٤٢) .

(٣) أخرجه ابن عدي في الكامل (٧/٦٧) وأبو نعيم في الحلية (٣/٤٨) وقال أبو نعيم :لم يروها عن أنس ـ رضي الله عنه ـ غير فرقد ، ولا عنه إلا وهب بن راشد ، ووهب وفرقد غير محتج بحديثهما وتفردهما .

وقال ابن عدي في ترجمة وهب بن راشد : يروي عن ثابت ومالك بن دينار وفرقد السبخي ، ليست روايته عنهم بالمستقيمة . =

فهذه الدرجة من محبة الله فرض واجب على كل مسلم وهي درجة المقتصدين أصحاب اليمين

الدرجة الثانية درجة السابقين المقربين ، وهي أن ترتقي المحبة إلي ما يحبه الله من نوافل الطاعات ، وكراهة ما يكرهه من دقائق المكروهات ، وإلى الرضا بما يقدره ويقضيه مما يؤلم النفوس من المصائب ، وهذا فضل مستحب مندوب إليه .

وفي صحيح البخاري [(١)] ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : « يقول الله ـ عز وجل ـ من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ؛ فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، ولئن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته» .

وقد روي هذا المعني عن النبي ﷺ من حديث علي بن أبي طالب [(٢)] ـ رضي الله عنه ـ وابن عباس [(٣)] ـ وأبي أمامة [(٤)] وعائشة [(٥)] ـ رضي الله عنهم ـ بأسانيد

= ثم ساق ابن عدي لوهب أحاديث عن ثابت وفرقد ، ومنها حديثنا هذا وقال : وهذه الأحاديث غير محفوظة ، ولا أعلم يرويها غير وهب بن راشد .

ثم قال ابن عدي : ولوهب غير ما ذكرت ، وأحاديثه كلها فيها نظر .

(١) برقم (٦٥٠٢) .

(٢) أخرجه الإسماعيلي في « مسند علي » كما في الفتح (١١ / ٣٤٩) وضعفه الحافظ .

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (١٢ / ١٢٧١٩) وضعفه الحافظ في الفتح .

وقال الهيثمي في « المجمع » (١٠ / ٢٧٠) : « فيه من لم أعرفه » .

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (٨ / ٧٨٣٣ ، ٧٨٨٠) ، والبيهقي في الزهد الكبير (٦٩٦) وقال في المجمع (٢ / ٢٤٨) : فيه علي بن يزيد ، وهو ضعيف .

(٥) أخرجه أحمد (٦ / ٢٥٦) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١ / ٥) .

قال الهيثمي في المجمع (١ / ٢٦٩) : فيه عبد الواحد بن قيس ، وقد وثقه غير واحد ، وضعفه غيرهم

فيها نظر .

وذكر ابن أبي الدنيا بإسناده عن سهيل أخي حزم قال : بلغني عن عامر بن عبد قيس أنه كان يقول : « أحببت الله - عز وجل - حبًا سهل علي كل مصيبة ، ورضاني بكل قضية ، فما أبالي مع حبي إياه ما أصبحت عليه وما أمسيت » .

وقال إبراهيم بن الجنيد : حدثنا محمد بن الحسن ، حدثني عبيد الله بن محمد التميمي « أن رجلا قال لعابد : أوصني - أو عظني - فقال : أي الأعمال أغلب على قلبك ؟ فقال الرجل : والله ما أجد شيئًا أنفع للمحب عند حبيبه من المبالغة في محبته وهل تدري ما ذلك ؟ أن لا يعلم شيئًا فيه رضاه إلا أتاه ، ولا يعلم شيئًا فيه سخطه إلا اجتنبه ، فعند ذلك ينزل المحبون من الله منازل المحبة . قال : فصرخ العابد والسائل وسقطا » .

وقد تبين بما ذكرناه أن محبة الله إذا صدقت أوجبت محبة طاعته وامتثالها ، وبغض معصيته واجتنابها ، وقد وقع المحب أحيانًا في تفريط في بعض المأمورات وارتكاب لبعض المحظورات ثم يرجع على نفسه بالملامة ، وينزع عن ذلك ويتداركه بالتوبة .

وفي صحيح البخاري [1] « أن رجلا كان يؤتى به إلى النبي ﷺ قد شرب الخمر ، فقال رجل : اللهم العنه ، ما أكثر ما يؤتى به؟ فقال رسول الله ﷺ : لا تلعنه ؛ فإنه يحب الله ورسوله » .

وقد روي عن الشعبي في « قوله عز وجل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ ﴾ [البقرة:٢٢٢] قال : التائب من الذنب كمن لا ذنب له ، وإذا أحب الله عبدًا لم يضره ذنبه » .

وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال : « إن الله - تعالى - ليحب العبد حتى يبلغ من حبه إذا أحبه أن يقول له : اذهب فاعمل ما شئت ؛ فقد غفرت لك» .

---

(١) برقم (٦٧٨٠) .

والمراد من هذا أن الله ـ تعالى ـ إذا أحب عبداً وقدر عليه بعض الذنوب ؛ فإنه يقدر له الخلاص منها بما يمحوها من توبة أو عمل صالح أو مصائب مكفرة، كما في الحديث عن النبي ﷺ قال : « **أذنب عبد ذنبًا فقال : أي ربي ، عملت ذنبًا ؛ فاغفر لي ؟ ـ فذكر الحديث – إلى أن قال – فليعمل ما شاء** »[1] .

والمراد ما دام على هذا ، كلما عمل ذنبًا اعترف به وندم عليه واستغفر منه ، فأما مع الإصرار عليه فلا ، وكذلك المحبة الصادقة الصحيحة تمنع من الإصرار على الذنوب وعدم الاستحياء من علام الغيوب .

وما أحسن قول بعضهم :

تعصي الإله وأنت تزعم حبــه　　　هذا لعمري في القياس شنيــع
لو كان حبك صادقًا لأطعتـــه　　　إن المحب لمن يحب مطيـــع

* * *

(١) أخرجه البخاري (٧٥٠٧) ، ومسلم (٢٧٥٨) .

الباب الثاني
في بيان أن من أعظم المطالب وأهمها سؤال الله تعالى محبته على أكمل الوجوه وأتمها

روى معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال : « أتاني ربي ـ تبارك وتعالى ـ في أحسن صورة - يعني : في المنام - فذكر الحديث ، وقال في آخره : قال : سل . قلت : اللهم إني أسالك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحب المساكين، وأن تغفر لي وترحمني ، وإذا أردت بقوم فتنة فتوفني إليك غير مفتون، وأسألك حبك ، وحب من يحبك ، وحب كل عمل يقربني إلى حبك .
فقال ﷺ : إنها حق ؛ فادرسوها وتعلموها » .

خرجه الإمام أحمد [١] والترمذي [٢] وقال : حسن صحيح .

وخرجه الحاكم [٣] وقال : صحيح الإسناد .

وفي بعض الروايات : «وحب عمل يبلغني حبك » .

وخرج البزار [٤] والطبراني [٥] والحاكم [٦] من حديث ثوبان ، عن النبي ﷺ

(١) في المسند (٥ / ٢٤٣) . (٢) برقم (٣٢٣٥) ..
قال الترمذي : سألت محمد بن إسماعيل عن هذا الحديث فقال : هذا حديث حسن صحيح .
(٣) (١ / ٥٢) .
(٤) برقم (٢١٢٨ - كشف) .
قال الهيثمي في المجمع (٧ / ١٧٧ - ١٧٨) : رواه البزار من طريق أبي يحيى عن أبي أسماء الرحبي ، وأبو يحيى لم أعرفه ، وبقية رجاله ثقات.
(٥) لم أجده في مسند ثوبان من « المعجم الكبير » ، ولم يعزه الهيثمي إلا للبزار . وليس الحديث أيضًا في المعجمين « الأوسط والصغير » للطبراني .
(٦) (١/ ٥٢٧) وقال : هذا حديث صحيح على شرط البخاري .

نحوه .

وخرج البزار [1] بإسناد فيه ضعف ، عن ابن عمر ، عن النبي ﷺ نحوه ، وفي حديثه : « اللهم إني أسألك حبك ، وحب من يحبك ، وحب عمل يقربني إلى حبك ، اللهم إني أسألك إيمانا يباشر قلبي حتى أعلم أنه لن يصيبني إلا ما كتبت لي ، ورضني بما قسمت لي » .

وخرج الترمذي [2] والحاكم [3] من حديث أبي الدرداء ، عن النبي ﷺ قال : « كان من دعاء داود ـ عليه السلام ـ : اللهم إني أسألك حبك وحب من يحبك والعمل الذي يبلغني حبك ، اللهم اجعل حبك أحب إلي من نفسي وأهلي ومن الماء البارد » .

قال : وكان النبي ﷺ إذا ذكر داود وتحدث عنه قال : « كان داود أعبد البشر» . وقال الترمذي : حديث حسن غريب .

وخرج الترمذي [4] أيضًا من حديث عبد الله بن يزيد الخطمي الأنصاري ، عن النبي ﷺ « أنه كان يقول في دعائه : اللهم ارزقني حبك ، وحب من ينفعني حبه عندك ، اللهم ما رزقتني مما أحب فاجعله قوة لي فيما تحب ، اللهم ما زويت عني مما أحب فاجعله فراغًا لي فيما تحب » وقال : حسن غريب .

وخرج ابن أبي الدنيا وغيره من رواية أبي بكر بن أبي مريم ، عن الهيثم بن مالك الطائي « أن النبي ﷺ كان يدعو : اللهم اجعل حبك أحب الأشياء إلي، واجعل خشيتك أخوف الأشياء عندي ، واقطع عني حاجات الدنيا بالشوق إلى

---

(١) برقم (٢١٢٩ - كشف) .
وقال الهيثمي في المجمع (٧ / ١٧٨) : وفيه سعيد بن سنان ، وهو ضعيف ، وقد وثقه بعضهم ، ولم يلتفت إليه في ذلك .
(٢) برقم (٣٤٩٠) وقال : هذا حديث حسن غريب .
(٣) في المستدرك (٢ / ٤٣٣) وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وتعقبه الذهبي فقال: بل عبد الله هذا قال أحمد : أحاديثه موضوعة .
(٤) برقم (٣٤٩١) وقال : هذا حديث حسن غريب .

لقائك ، وإذا أقررت أعين أهل الدنيا بدنياهم ؛ فاقرر عيني من عبادتك »[1] . وهذا مرسل .

وخرج ابن أبي الدنيا أيضًا من رواية أبي بردة قال : « صليت إلى جنب ابن عمر فسمعته حين يسجد يقول : اللهم اجعل حبك أحب الأشياء إلي ، وخوفك أخوف الأشياء عندي » وخرجه أبو نعيم[2] ، ولفظه : « **اللهم اجعلك أحب الأشياء إليّ وأخشى عندي** » .

وصح من رواية نافع عن ابن عمر « أنه كان يدعو على الصفا والمروة وفي مناسكه فيقول في دعائه : اللهم اجعلني ممن يحبك ويحب ملائكتك ، ويحب رسلك ، ويحب عبادك الصالحين ، اللهم حببني إليك وإلى ملائكتك وإلى رسلك وإلى عبادك الصالحين »[3] في دعاء له كثير .

وروى إبراهيم بن الجنيد في كتاب المحبة له بإسناد إلى أبي الزاهرية قال : «كان داود عليه السلام يقول : « اللهم اجعلني من أحبائك ؛ فإنك إذا أحببت عبدًا غفرت ذنبه وإن كان عظيمًا وقبلت عمله وإن كان يسيرًا » .

وبإسناد عن صالح بن مسمار قال : « بلغنا أن الله ـ عز وجل ـ أرسل إلى سليمان بن داود ـ عليهما السلام ـ بعد موت أبيه داود ملكًا من الملائكة ، فقال له الملك : إن ربي ـ عز وجل ـ أرسلني إليك لتسأله حاجة . قال سليمان : فإني أسأل ربي أن يجعل قلبي يحبه كما كان قلب أبي داود يحبه ، وأسأل الله ـ تعالى ـ أن يجعل قلبي يخشاه كما كان قلب أبي يخشاه . فقال الرب ـ تبارك وتعالى ـ : أرسلت إلى عبدي ليسألني حاجة فكانت حاجته أن أجعل قلبه يحبني وأجعل قلبه يخشاني ، وعزتي لأكرمنه . فوهب له ملكًا لا ينبغي لأحد بعده ؛ ثم قال : ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ [ص : ٣٩ ـ ٤٠] » .

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٨ / ٢٨٢) .
(٢) في الحلية (١ / ٣٠٤) .
(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١ / ٣٨٨) .

وعن سلام بن مسكين قال : سمعت الحسن يقول : « اللهم املأ قلوبنا إيمانا بك ، ويقينا بك ومعرفة بك وتصديقًا لك وحبًا لك ، وشوقًا إلى لقائك » .

وعن عبد الواحد بن زيد « أنه كان يقول في دعائه : اللهم إني أسألك أركانًا قوية على عبادتك ، وأسألك جوارح مسارعة إلى طاعتك ، وأسألك هممًا متعلقة بمحبتك » .

وعن مرثد بن أبي عامر عن الحسن بن علي « أنه كان يقول في دعائه : اللهم ارزقني محبة لك تقطع بها عني محبات الدنيا ولذاتها ، وارزقني محبة لك تجمع لي بها خير الآخرة ونعيمها ، اللهم اجعل محبتك آثر الأشياء عندي وأقرها لعيني واجعلني أحبك حب الراغبين في محبتك ، حبًا لا يخالطه حب هوى أعلى منه في صدري ، ولا أكثر منه في نفسي حتى يشتغل قلبي به عن السرور بغيره ، حتى يكمل لي به عندك الثواب غدًا في أعلى منازل المحبين لك يا كريم » قال : وكان من خيار أهل البيت ، وكان يدعو بهذا الدعاء في آخر كلامه ويبكي .

وعن عقبة بن فضالة قال : « كان أبو عبيدة الخواص يقول في دعائه بعد ما كبر: اللهم ارزقني حبًا لك ، وحبًا لطاعتك ، وحبًا لمطيعك ، وحبًا لأوليائك ، وحبًا لأهل محبتك وخدمتك ، اللهم ارزقني حبًا ترفعني به عندك في أعلى درجات العلى في منازل المحبين لك » .

قال : وكان يبكي حتى يكاد يهمد وكان قد كبر جدًا .

وعن أبي صخر ، عن محمد بن كعب القرظي « أن عمر بن عبد العزيز أرسل يومًا إليه ـ وعمر أمير المدينة يومئذ ـ فقال : يا أبا حمزة ، إنه أسهرتني البارحة آية . قال محمد : وما هي أيها الأمير ؟ فقال : قول الله ـ عز وجل ـ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ﴾ قال محمد : إنما عنى الله ـ عز وجل ـ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ الولاة من قريش ﴿ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ ﴾ عن الحق ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ وهم أهل اليمن . قال عمر : يا ليتني وإياك منهم ! قال : آمين » .

وروى ابن أبي الدنيا بإسناده عن سعيد بن صدقة أبي مهلهل قال : « أتاني آت في منامي فقال : أتحب الله ؟ قلت : أي والله الذي لا إله غيره ، إني لأحبه وأحب طاعته . قال : أفلا تناديه نداء أوليائه ؟ قلت : وما هو ؟ قال : قل : نبهني إلهي للخطر العظيم من محبتك يا باري النسم » .

قال أحمد بن أبي الحواري : حدثنا أبو قرة ، حدثنا حميد بن قائد قال : كان بعض التابعين يقول : « إلهي أعطيتني من غير أن أسألك ؛ فكيف تحرمني وأنا أسألك ، اللهم إني أسألك أن تسكن عظمتك في قلبي وأن تسقيني شربة من كأس حبك » .

قال أحمد : وحدثنا جعفر بن محمد ، عن أبيه قال : « كان من دعاء مريم أم عيسى ـ عليهما السلام ـ اللهم املأ قلبي بك فرحًا وغش وجهي منك الحياء ».

وكان من دعاء بعض التابعين « اللهم أمت قلبي بخوفك وخشيتك ، وأحيه بحبك وذكرك » .



الباب الثالث
في بيان الأسباب
التي تستجلب بها محبة رب الأرباب

فمن ذلك معرفة نعمة الله علي عباده ، وقد جبلت القلوب علي حب من أحسن إليها .

وهذا الكلام مروي عن ابن مسعود . وروي عنه مرفوعا ولا يصح[1] .

قال بعضهم : « إذا كانت القلوب جبلت على حب من أحسن إليها فوا عجبًا لمن لا يري محسنًا غير الله ـ عز وجل ـ كيف لا يميل بكلّيته إليه » .

وقال بعض السلف : «ذكر النعيم يورث الحب لله ـ عز وجل » .

قال الفضيل : « أوحى الله إلى داود ـ عليه السلام ـ : أحبني وأحب من يحبني وحببني إلى عبادي . قال : يا رب ، هذا أحبك وأحب من يحبك ، فكيف أحببك إلى عبادك ؟! قال : تذكرني ولا تذكر مني إلا حسنًا » .

---

(١) أخرجه ابن عدي في الكامل (٢ / ٢٨٦ - ٢٨٧) ، والبيهقي في « الشعب » (٨٩٨٤) وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١٢١) ، والخطيب في تاريخه (٧ / ٣٤٦ - ٣٤٧) وغيرهم
قال ابن عدي : وهذا لم أكتبه مرفوعًا إلا من هذا الوجه ، وهو معروف عن الأعمش موقوفًا . . . ثم ذكره موقوفًا .
ونقل هذه العبارة البيهقي في الشعب عن ابن عدي .
وقال أبو نعيم : غريب من حديث الأعمش عن خيثمة ، لم نكتبه إلا من هذا الوجه .
وأخرجه البيهقي في « الشعب » (٤٩٨٣) موقوفًا على ابن مسعود وقال : هذا هو المحفوظ موقوف .
وحكم عليه الشيخ الألباني بالوضع مرفوعًا وموقوفًا في الضعيفة (٦٠٠) .

ويروى عن كعب قال : « أوحى الله ـ عز وجل ـ إلى موسى ـ عليه السلام ـ: أتحب أن تحبك أحبتي وملائكتي وما ذرأت من الجن والإنس ؟ قال : نعم يا رب. قال : ذكرهم آلائي ونعمائي ؛ فإنهم لا يذكرون مني إلا كل حسنة».

وعن أبي عبد الله الجدلي قال : « أوحى الله ـ عز وجل ـ إلى داود ـ عليه السلام ـ يا داود ، أحبني وأحب من يحبني وحببني إلى الناس ؟ قال : يا رب، أحبك وأحب من يحبك ؛ فكيف أحببك إلى الناس ؟ قال : تذكرهم آلائي ونعمائي فلا يذكرون مني إلا حسنًا » .

ويروى عن ابن عباس . عن النبي ﷺ قال : « **أحبوا الله لما يغذوكم من نعمة، وأحبوني لحب الله وأحبوا أهل بيتي لحبي** » .

وهذا الحديث موجود في بعض نسخ كتاب الترمذي (١) .

والحب على النعم من جملة شكر المنعم وهو واجب على من أنعم عليه ، ولهذا يقال : إن الشكر يكون بالقلب واللسان والجوارح .

ومن الأسباب أيضًا : معرفة الله ـ تعالى ـ :

قال الحسن بن أبي جعفر : سمعت عتبة الغلام يقول : « من عرف الله ـ تعالى ـ أحبه ، ومن أحب الله أطاعه ، ومن أسكنه في جواره فطوباه وطوباه وطوباه » .

قال فلم يزل يقول : « وطوباه ، وطوباه » حتى خر ساقطًا مغشيًا عليه .

خرجه إبراهيم بن الجنيد .

وقال بديل بن ميسرة : « من عرف ربه أحبه ، ومن عرف الدنيا زهد فيها ».

خرجه الإمام أحمد وغيره .

---

(١) برقم (٣٧٨٩) وقال : هذا حديث حسن غريب ، إنما نعرفه من هذا الوجه .

ومن أعظم أسباب المعرفة الخاصة : التفكر في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء .

قال الجوزجاني : حدثني صاحب لي عن جعفر بن سليمان قال: « كنا نكون عند مالك بن دينار عشية جمعة ، فكان يجيء خليفة العبدي بعد العصر فيأخذ بعضادتي الباب فيقول : يا أبا يحيى ، عليك السلام ، يا أبا يحيى ، لو أن الله ـ تعالى ـ لم يعبد إلا عن رؤية ما عبده أحد ، لأنه عز وجل لا تدركه الأبصار ولكن المؤمنون تفكروا في مجيء هذا الليل إذا جاء فطبق كل شيء وملأ كل شيء ، ومجيء سلطان النهار وتفكروا في مجيء النهار إذا جاء فملأ كل شيء وطبق كل شيء، ومجيء سلطان الليل ، وتفكروا في السحاب المسخر بين السماء والأرض ، وتفكروا في الفلك التى تجري في البحر بما ينفع الناس ، وتفكروا في مجيء الشتاء والصيف ، فوالله ما زال المؤمنون يتفكرون فيما خلق لهم ربهم حتى أيقنت قلوبهم ، وحتى كأنما عبدوا الله عن رؤية » .

وكان شميط بن عجلان يقول : « دلنا ربنا على نفسه في هذه الآية : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ...﴾ الآية [الأعراف: ٥٤، ويونس: ٣]

وفي القرآن شيء كثير من التذكير بآيات الله الدالة على عظمته وقدرته وجلاله وكماله وكبريائه ورأفته ورحمته وبطشه وقهره وقدرته وانتقامه ، غير ذلك من صفاته العلى وأسمائه الحسنى والندب إلى التفكر في مصنوعاته الدالة على كماله، فإن القلوب مفطورة على محبة الكمال ، ولا كمال على الحقيقة إلا له سبحانه وتعالى ، ولهذا كان السلف يفضلون التفكر على نوافل البدن . وروي ذلك عن الحسن وابن المسيب .

قال عمر بن عبد العزيز : « الفكر في نعم الله أفضل العبادة » .

وقال عبد الله بن محمد التيمي : « أفضل النوافل طول الفكرة » .

وكان أكثر عمل أبي الدرداء الاعتبار والتفكر .

وكلام الإمام أحمد يدل على مثل هذا أيضًا .

وقال ذو النون : تناول المعرفة بثلاث : « بالنظر في الأمور كيف دبرها ، وفي المقادير كيف قدرها ، وفي الخلائق كيف خلقها » .

« وسئل أبو سليمان الداراني : بأي شيء تنال معرفة الله ؟ قال : بطاعته . قيل: فبأي شيء تنال طاعته ؟ قال : به » .

فكلما قويت معرفة العبد بالله قويت محبته له ومحبته لطاعته ، وحصلت له لذة العبادة من الذكر وغيره على قدر ذلك .

وقد روى ابن أبي الدنيا بإسناده عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال : «أخبرني أهل الكتاب أن هذه الأمة تحب الذكر كما تحب الحمامة وكرها ، ولهم أسرع إلى ذكر الله من الإبل إلى وردها يوم ظمئها » .

وعن مالك بن دينار قال : « ما تلذذ المتلذذون بمثل ذكر الله ـ عز وجل » .

وعنه قال : « قرأت في التوراة : أيها الصديقون تنعموا بذكري في الدنيا ؛ فإنه لكم في الدنيا نعيم وفي الآخرة جزاء »

وقال محمد بن كعب القرظي: «وجدت في بعض الحكمة : أيها الصديقون، افرحوا بي وتنعموا بذكري » .

وقال مسلم أبو عبد الله : : « ما تلذذ المتقون بشيء في صدورهم ألذ من حب الله ـ عز وجل ـ ومحبة أهل ذكره » .

وقال أحمد بن غسان : « قرأت في زبور داود ـ عليه السلام ـ : أحبوا الله يا صِدِّيقيه ، افرحو أيها الصديقون بالله وتنعموا بذكره » .

وقال أحمد بن أبي الحواري عن أبي جعفر الرقي قال : « ما فرح أحد بغير الله إلا بالغفلة عن الله ـ عز وجل » .

قال وحدثنا محمود عمن أخبره قال : « رأيت بالبصرة رجلا كثير الدواب قليل الطعم جيد البدن ؛ فقلت له : أراك كثير الدوب قليل الطعم جيد البدن ؟

قال : ذلك من فرحي بحب الله - عز وجل - ، إذا ذكرت أنه ربي وأنا عبده لم يمنع أن يصلح » .

وقال الفضل الرقاشي : « والله لو جمع للعباد جميع لذات الدنيا بحذافيرها لكان امتهانهم أنفسهم لله بطاعته ألذ وأحلى عندهم من ذلك كله »

وقال إبراهيم بن أدهم : « أعلى الدرجات : أن يكون ذكر الله عندك أحلى من العسل ، وأشهى من الماء العذب الصافي عند العطشان في اليوم الصائف » .

وقال زبيد اليامي : « إن لله عبادًا ذكروه فخرجت نفوسهم به إعظامًا واشتياقًا، وقومًا ذكروه فوجلت قلوبهم فرقًا وهيبة له ، فلو أحرقوا بالنار لم يجدوا مس النار ، وآخرون ذكروه في الشتاء وبرده فارفضوا عرقًا من خوفه ، وقومًا ذكروه فحالت ألوانهم غبرًا ، وقومًا ذكروه فجفت أعينهم سهرًا » .

« وكان أبو حفص النيسابوري إذا ذكر الله تغيرت عليه حاله حتى كان يرى ذلك منه جميع من حضره ، ففعل ذلك مرة فلما رجع قال : ما أبعد ذكرنا من ذكر المحققين ، فما أظن محققًا يذكر الله من غير غفلة ثم يبقى بعد ذلك حيًّا إلا الأنبياء ؛ فإنهم أيدوا بقوة النبوة ، وخواص الأولياء بقوة ولايتهم ، ومع ذلك كله فلو كشف الغطاء لتبين أن الأمر أعظم وأعظم . ولهذا يقول أهل الجنة إذا كشفت لهم الحجب ورأوه معاينة قالوا : سبحانك ، ما عبدناك حق عبادتك »(1).

وفي حديث آخر : « **إن لله ملائكة في السماء قيامًا إلى يوم القيامة ترعد فرائصهم من مخافته ، ما منهم ملك تقطر من عينيه دمعة إلا وقعت على ملك يسبح ، ولله ملائكة سجودًا منذ خلق الله السموات والأرض لم يرفعوا رءوسهم ولا يرفعونها إلى يوم القيامة، وصفوفًا لم يتفرقوا عن مقامهم إلى يوم القيامة فإذا**

---

(1) أخرج نحوه محمد بن نصر المروزي في « تعظيم « قدر الصلاة » (٢٥٦) مطولا من حديث عمر مرفوعًا من قول الملائكة .

قال ابن كثير في تفسيره (١٤ / ١٨٨ ط - أولاد شيخ) : هذا حديث غريب جدًّا ؛ بل منكر نكارة شديدة .... والعجب من الإمام محمد بن نصر ، كيف رواه ولم يتكلم عليه ، ولا عرَّف بحاله ، ولا تعرض لضعف بعض رجاله ؟ غير أنه رواه من وجه آخر عن سعيد بن جبير مرسلا بنحوه . ومن طريق أخرى عن الحسن البصري مرسلا قريبًا منه .

كان يوم القيامة تجلى لهم ربهم - عز وجل - فينظرون إليه تبارك وتعالى ، فقالوا : سبحانك ما عبدناك كما ينبغي لك » .

خرجه ابن أبي الدنيا [1] والآجري [2] مرفوعًا.

وروي نحوه من وجه آخر مرسلا [3] ؛ وروي عن عبد الله بن عمرو مرفوعا[4] نحوه أيضًا .

وفي الصحيحين [5] عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : « إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر ؛ فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله - عز وجل - تنادوا : هلموا إلى حاجتكم . قال : فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء ، قال : فيسألهم ربهم - وهو أعلم بهم - : ما يقول عبادي ؟ قال يقولون : يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك ، فيقول : هل رأوني ؟ فيقولون : لا والله ما رأوك ، فيقول : كيف لو رأوني ؟ قال يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيداً وتحميداً ، وأكثر لك تسبيحًا ... » وذكر بقية الحديث ، وإذا كان مخلوق يقول في مخلوق :

وكنت أرى أن قد تناها بي الهوى ... إلى غاية ما فرقها لي مطلب
فلما تلاقينا وعاينت حسنها ... تيقنت أني إنما كنت ألعب

فكيف بالخالق الملك الحق العظيم الذي لا يُقَدَّرُ حق قدره ، ولا يحيط خلقه به علمًا ، ولا يحصون ثناء عليه ، وهو كما أثنى على نفسه ؟! .

---

(١) في الرقة والبكاء (١٠٥)

(٢) وأخرجه أبو الشيخ في العظمة (٥١٥) ، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (٢٦٠) . قال ابن كثير (١٤ / ١٨٩) : إسناده لا بأس به .

(٣) أخرجه المروزي في تعظيم قدر الصلاة (٢٥٨)من طريق الحسن عن عمرمرفوعا ، وهو مرسل فالحسن لم يدرك عمر .

(٤) أخرجه البيهقي في « الرؤية » كما في « الحاوي » (ص ١٩٩ - ٢٠٠) موقوفًا على عبد الله بن عمرو .

(٥) أخرجه البخاري (٦٤٠٨) ، ومسلم (٢٦٨٩) .

فصل

« الأسباب الجالبة لمحبة الله »

ومن الأسباب الجالبة لمحبة الله ـ عز وجل ـ معاملة الله بالصدق والإخلاص ومخالفة الهوى ، فإن ذلك سبب لفضل الله على عبده وأن يمنحه محبته .

قال بشر الحافي : قال فتح الموصلي : « من أدام النظر بقلبه ورثه ذلك الفرح بالمحبوب ، ومن آثره على هواه ، ورثه ذلك حبه إياه ، ومن اشتاق إليه وزهد فيما سواه ورعى حقه وخافه بالغيب ، ورثه ذلك النظر إلى وجهه الكريم » .

خرجه أبو نعيم وغيره .

ويقال : إن سرى السقطي ـ رحمه الله تعالى ـ كان له دكان فاحترق السوق الذي فيه دكانه ولم يحترق دكانه ، فأخبر بذلك فقال : « الحمد لله . ثم تفكر في ذلك فرأى أنه قد سر بعطب الناس وسلامته ، فتصدق بما في دكانه ، فشكر الله له ذلك ورقاه إلى درجة المحبة ، وسئل مرة عن حاله فأنشد :

من لم يبت والحب حشو فؤاده   لم يدر كيف تفتت الأكباد

وبلغ من أمره « أنه لما مرض رفع ماؤه إلى الطبيب ، فلما رآه الطبيب قال : هذا عاشق ! فصعق حامل الماء وغشي عليه . ونظروا إلى جسده مرة وكان سقيمًا مضنيًا ، فقال : لو شئت أن أقول هذا كله من محبته لقلت ».

« وسئل المرتعش : بم تنال المحبة ؟ قال : بموالاة أولياء الله ـ عز وجل ـ ومعاداة أعدائه وأصله الموافقة » .

ومن أعظم ما تستجلب به المحبة : كثرة الذكر مع الحضور .

وقال ذو النون : « من شغل قلبه ولسانه بالذكر قذف الله في قلبه الاشتياق إليه» .

وقال إبراهيم بن الجنيد : « كان يقال : من علامة المحبة لله : دوام الذكر

بالقلب واللسان ، وقل ما ولع المرء بذكر الله - عز وجل - إلا أفاد منه حب الله - جل جلاله ».

ومما يستجلب به المحبة تلاوة القرآن بالتدبر والتفكر ، ولا سيما الآيات المتضمنة للأسماء والصفات والأفعال الباهرات ، ومحبة ذلك يستوجب به العبد محبة الله ومحبة الله له .

وفي الصحيحين [1] عن أنس « أن رجلا كان يصلي بهم ويختم قراءته ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ فأمر النبي ﷺ أن يسأل عن ذلك ، فقال إنها صفة الرحمن وأنا أحب أن أقرأها ؟ فقال ﷺ : أخبروه أن الله يحبه » .

ومن أسباب المحبة تذكر ما ورد في الكتاب والسنة من رؤية أهل الجنة لربهم وزيارتهم له واجتماعهم يوم المزيد ، فإن ذلك تستجلب به المحبة الخالصة .

وقد أشار إلى ذلك الحسن قال دلهم عن الحسن : « أوصيكم بتقوى الله - عز وجل - وإدمان التفكر ، فإنه مفتاح خلال الخير كله ، وبه يخص الله كل موفق ، واعلموا أن خير ما ظفرتم به مدرك من تفكر بخالصة الله وشرب بكأس حبه ، وأن أحباء الله هم الذين ظفروا بطيب الحياة ، وذاقو لذة نعيمها بما وصلوا إليه من مناجاة حبيبهم ، وما وجدوا من حلاوة حبه في قلوبهم ، ولا سيما إذا خطر على بال أحدهم ، وذكر مشافهته وكشف ستور الحجب عنه في المقام الأمين والسرور الدائم وأراهم جلاله ، وأسمعهم لذيذ منطقه ، ورد عليهم جواب ما ناجوه به أيام حياتهم ؛ إذ قلوبهم به مشغوفة ، وإذ مودتهم إليه معطوفة وإذ هم له مأثورون وإليه منقطعون ، فليبشر المصفون له ودهم بالمنظر العجيب بالحبيب ، فوالله ما أراه يحل لعاقل ، ولا يجمل به أن يستوعبه حب أحد سوى حب الله - عز وجل » .

خرجه ابن أبي الدنيا وغيره .

---

(1) أورده البخاري (٧٧٤) تعليقًا من حديث أنس .
والذي في الصحيحين : رواية عائشة عند البخاري (٧٣٧٥) ، ومسلم (٨١٣) .

الباب الرابع
في علامات المحبة الصادقة

من التزام طاعة الله ـ تعالى ـ والجهاد في سبيله واستحلاء الملامة في ذلك واتباع رسوله . قال الله ـ جل وعلا ـ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة: ٥٤] .

قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣١] .

فوصف الله ـ سبحانه ـ المحبين له بخمسة أوصاف :

أحدها :

الذلة على المؤمنين ، والمراد لين الجانب وخفض الجناح والرأفة والرحمة للمؤمنين ، كما قال تعالى لرسوله : ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٥] ووصف أصحابه بمثل ذلك في قوله : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح: ٢٩] وهذا يرجع إلى أن المحبين لله يحبون أحباءه ويعودون عليهم بالعطف والرأفة والرحمة ، وقد سبق في الباب الأول بيان ذلك .

الثاني :

العزة على الكافرين ، والمراد الشدة والغلظة عليهم ، كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾ [التوبة: ٧٣ ، التحريم: ٩] .

وهذا يرجع إلى أن المحبين له يبغضون أعداءه ، وذلك من لوازم المحبة

الصادقة كما سبق تقريره أيضًا .

الثالث :

الجهاد في سبيل الله وهو مجاهدة أعدائه باليد واللسان ، وذلك أيضًا من تمام معاداة أعداء الله الذي تستلزمه المحبة ، وأيضا فالجهاد في سبيل الله فيه دعاء الخلق إلى الله وردهم إلى بابه بالقهر لهم والغلبة ، كما قال تعالى : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

قال مجاهد وغيره : يعني : كنتم خير الناس للناس ، فخير الناس للناس أنفعهم لهم ، ولا نفع أعظم من الدعاء إلى التوحيد والطاعة والنهي عن الشرك والمعصية .

«وسئل الحسن البصري عن رجل له أم فاجرة فقال : يقيدها ؛ فما وصلها بشيء أعظم من أن يكفها عن معاصي الله ـ تعالى » .

قال إبراهيم بن أدهم : « سمعت رجلين من الزهاد يقول أحدهما للآخر يا أخي ، ما ورث أهل المحبة محبتهم ؟ قال : فأجابه الآخر : ورثوا النظر بنور الله والعطف على أهل معاصي الله. قال : فقلت له : كيف يعطف على قوم قد خالفوا أمر محبوبهم ؟ فقال : مقت أعمالهم وعطف عليهم ليزيلهم بالمواعظ عن فعالهم وأشفق على أبدانهم من النار . لا يكون المؤمن مؤمنًا حقًّا حتى يرضى للناس ما يرضاه لنفسه » .

الرابع :

أنهم لا يخافون لومة لائم ، والمراد أنهم يجتهدون فيما يرضى به من الأعمال ولا يبالون بلومة من لامهم في شيء منه إذا كان فيه رضا ربهم .

وهذا من علامات المحبة الصادقة ، أن المحب يشتغل بما يرضي به حبيبه ومولاه ، ويستوي عنده من حمده في ذلك أو لامه ، وفي هذا المعنى يقول بعضهم :

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي   متأخر عنه ولا متقدم
أجد الملامة في هواك لذيذة   حبًا لذكرك فليلمني اللوم

الخامس :

متابعة الرسول ﷺ وهو طاعته واتباعه في أمره ونهيه .

قال مبارك بن فضالة عن الحسن : « كان ناس على عهد النبي ﷺ يقولون : يا رسول الله ، إنا نحب ربنا حبًا شديدًا . فأحب الله أن يجعل لحبه علمًا ، فأنزل الله ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣١] » .

وقد قرن الله بين محبة رسوله في قوله تعالى: ﴿ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ [التوبة: ٢٤] وكذلك ورد في السنة في أحاديث كثيرة جدًا سبق ذكر بعضها ، والمراد أن الله تعالى لا توصل إليه إلا من طريق رسوله ﷺ باتباعه وطاعته .

كما قال الجنيد وغيره من العارفين : « الطرق إلى الله مسدودة إلا من اقتفى أثر الرسول ﷺ »

وكلام أئمة العارفين في هذا الباب كثير جدًا .

قال إبراهيم بن الجنيد : « يقال علامة المحب على صدق الحب ست خصال:

أحدها : دوام الذكر بقلبه بالسرور بمولاه .

والثانية : إيثاره محبة سيده على محبة نفسه ومحبة الخلائق ، يبدأ بمحبة مولاه قبل محبة نفسه ومحبة الخلائق .

والثالثة : الأنس به ، والاستثقال لكل قاطع يقطع عنه أو شاغل يشغله عنه .

والرابعة : الشوق إلى لقائه والنظر إلى وجهه .

الخامسة : الرضا عنه في كل شديدة وضر ينزل به .

والسادسة : اتباع رسوله ﷺ .

ومحبة الرسول ﷺ على درجتين :

إحداهما فرض :

وهي المحبة التي تقتضي قبول ما جاء به الرسول ﷺ من عند الله وتلقيه بالمحبة والرضا والتعظيم والتسليم ، وعدم طلب الهدى من غير طريقه بالكلية، ثم حسن الاتباع له فيما بلغه عن ربه من تصديقه في كل ما أخبر به ، وطاعته فيما أمر به من الواجبات ، والانتهاء عما نهي عنه من المحرمات ، ونصرة دينه والجهاد لمن خالفه بحسب القدرة .

فهذا القدر لا بد منه ولا يتم الإيمان بدونه .

والدرجة الثانية فضل ، وهي المحبة التي تقتضي حسن التأسي به ، وتحقيق الاقتداء بسنته في أخلاقه وآدابه ونوافله وتطوعاته وأكله وشربه ولباسه وحسن معاشرته لأزواجه ، وغير ذلك من آدابه الكاملة وأخلاقه الطاهرة ، والاعتناء بمعرفة سيرته وأيامه واهتزاز القلب عند ذكره ، وكثرة الصلاة عليه لما سكن في القلب من محبته وتوقيره ومحبة استماع كلامه ،وإيثاره على كلام غيره من المخلوقين .

ومن أعظم ذلك الإقتداء به في زهده في الدنيا والاجتزاء باليسير منها ورغبته في الآخرة .

قال سهل التستري : من علامات حب الله : حب القرآن وعلامة حب الله وحب القرآن وحب النبي ﷺ وعلامة حب النبي ﷺ : حب السنة ، وعلامة حب السنة :حب الآخرة ، ومن علامة حب الآخرة : بغض الدنيا ، وعلامة بغض الدنيا أن لا يأخذ منها إلا زاداً يبلغه إلى الآخرة .

* * *

فصل
«بعض الآثار عن الحب»

وقد ذكرنا في الباب الأول أن محبة الله ـ عز وجل ـ الواجبة تقتضي محبة ما أوجب من الطاعات وامتثالها ، وكراهة ما كرهه من المحرمات واجتنابها ، وأن محبته المستحبة تقتضي محبة التقرب إليه بالنوافل والورع عن دقائق المكروهات ، والمحبة الواجبة تقتضي أيضًا مخالفة الهوى ، وإيثار ما يحبه ويرضاه على ما تشتهيه الأنفس وتهواه ، فإذا تمكنت المحبة في القلب ، وامتلأ القلب منها أخرجت من القلب محبة كل ما يكرهه الله فلم يبق في القلب سوى محبة الله ومحبة ما يحبه ، فلم تنبعث الجوارح إلا إلى الطاعات التي تقتضي التقرب إلى الله، وصارت النفس حينئذ مطمئنة .

وإلى هذا الإشارة في الحديث الإلهي : « **فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ...**»، وقد سبق ذكره .

وروى إبراهيم بن الجنيد بإسناده عن فرقد السبخي قال : « قرأت في بعض الكتب : من أحب الله ـ تعالى ـ لم يكن شيء عنده آثر من هواه ، ومن أحب الدنيا لم يكن شيء عنده آثر من هوى نفسه » .

والمحبة منتهى القربة والاجتهاد ، ولم يسأم المحبون من طول اجتهادهم لله ـ عز وجل ـ يحبونه ويحبون ذكره ويحببونه إلى خلقه ، ويمشون بين عباده بالنصائح ويخافون عليهم من أعمالهم يوم تبدو الفضائح ، وأولئك أولياء الله وأحباؤه وأهل صفوته ، أولئك الذين لا راحة لهم دون لقائه .

وعن ثور بن زيد قال : « نظر الله ـ عز وجل ـ إلى داود ـ عليه السلام ـ وهو وحداني منتبذ ، فقال : مالك وحداني ؟ قال : « عاديت الخلق فيك .

قال: أو ما علمت أن من محبتي أن تعطف على عبادي وتأخذ عليهم بالفضل ؟ هنالك أكتبك من أوليائي ومن أحبائي ؛ فإذا كنت كذلك كتبتك في ديوان أهل المحبة» .

وعن عبيد الله بن محمد التيمي قال : سمعتهم يذكرون عن بعض أولئك الفخام أنه قال : « إن العمل على المخالفة قد يغيره الرجاء ، والعمل على المحبة لا يدخله الفتور » .

وعن عبد الله بن أبي نوح قال : « سمعت رجلا من العباد يقول في كلامه : إذا سئم الباطلون من بطالتهم فلن يسأم محبوبك من مناجاتك وذكرك » .

وعن أبي جعفر المحبوبي قال : « ولي الله : المحب لله ، لا يخلو قلبه من ذكر ربه ، ولا يسأم من خدمته ، فإذا أعرض أعرض عنه ، وإذا أقبل إلى الله أقبل عليه برأفته ورحمته » .

وعن مسلم أبي عبد الله قال : « من أحب الله ـ عز وجل ـ آثر هوى الله ـ عز وجل ـ على هوى محبة نفسه ، ومن خشي الله ـ تعالى ـ خرج من الدنيا بحسرات ، والمؤمن من الله ـ عز وجل ـ بمنزلة كل خير بين خوف وشفقة وطاعة ومحبة » .

وعن الفضيل بن عياض قال : « الحب أفضل من الخوف ، ألا ترى إذا كان لك عبدان أحدهما يحبك والآخر يخافك ، فالذي يحبك منهما ينصحك شاهدًا كنت أو غائبًا لحبه إياك ، والذي يخافك عسى أن ينصحك إذا شهدت لما يخاف ، ويغشك إذا غبت ولم ينصحك » .

وعن سعيد بن عمر أن ابن زرارة قال : « سمعت كَلابَ بن جُرَي يقول لرجل من الطفاوة وهو يوصيه بطرائق البر ، فقال له :

وكن لربك ذا بر لتخدمه إن المحبين للأحباب خدام

قال : فصاح الطفاوي صيحة ، فخر مغشيًا عليه » .

وعن أبي عبد الرحمن المغازلي قال: « لا يعطى طريق المحبة غافل ولا ساه .

المحب لله - تعالى - طائر القلب ، كثير الذكر ، متسبب إلى رضوانه بكل سبيل يقدر عليه من الوسائل والنوافل دوبًا دوبًا ، وشوقًا شوقًا » .

وعن محمد بن النضر الحارثي قال : « ما يكاد يمل القربة إلى الله - عز وجل - محب لله - عز وجل - ولا يكاد يسأم من ذلك » .

وقال محمد بن نعيم الموصلي : « إن القلب الذي يحب الله يحب التعب والنصب لله ، إنه لن ينال حب الله بالراحة » .

وذكر ابن أبي الدنيا بإسناده « أن رجل قال لبعض العارفين : أوصني . قال: افش فعل الخيرات ، وتوصل إلى الله بالحسنات، فإني لم أر شيئًا قط أرضى للسيد مما يحب ؛ فبادر في محبته يسرع في محبتك . ثم بكى فقال له : زدني رحمك الله . قال : الصبر على محبة الله وإرادته راس كل بر - أو قال : كل خير » .

واجتمع أحمد بن أبي الحواري وقاسم الجوعي وجماعة من الصالحين بعد صلاة العتمة ، وقد خرجوا من المسجد إلى بيت رجل قد دعاهم إلى طعام صنعه لهم ، فأنشدهم رجل قبل دخول الباب :

علامة صدق المستخصين بالحب ... بلوغهم المجهود في طاعة الرب
وتحصيل طيب القوت من مجتنائه ... وإن كان ذاك القوت في مرتقى صعب

فلم يزل يردده وهم قيام حتى أذن مؤذن الفجر ورجعوا إلى المسجد .

وقد رُويت بيتان آخران مع هذين البيتين وهما :

وإمساك سوء اللفظ عن ولَهِ جنسهم ... وإن ظلموا فالعفو من ذاك بالخطب
أولئك بالرحمن قرت عيونهم ... وحلوا من الإخلاص بالمنزل الرحب

وقال نصر : « اجتمعنا ليلة على الساحل ومعنا مسلم أبو عبد الله ، فقال رجل من الأزد :

ما للمحب سوى إرادة حبه ... إن المحب بكل بر يضرع

قال : فبكى مسلم حتى خشيت والله أن يموت » .

خرجه ابن أبي الدنيا .

الباب الخامس
في استلذاذ المحبين بكلام محبوبهم وأنه غذاء قلوبهم وغاية مطلوبهم

خرج ابن ماجه (١) والترمذي من رواية موسى بن عبيدة عن المقبري عن الأدرع السلمي قال : « كان رجل يقرأ قراءة عالية ، فمات بالمدينة فحملوا نعشه ، فقال النبي ﷺ : **ارفقوا به رفق الله به ، إنه كان يحب الله ورسوله** . قال : وحضر حضرته فقال : **أوسعوا له وسع الله عليه** فقال بعض الصحابة : يا رسول الله، لقد حزنت عليه ؟ قال : **أجل ، إنه كان يحب الله ورسوله** » .

وروى أبو إسحاق ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن ابن مسعود قال : « لا يسأل عبد عن نفسه إلا القرآن ، فإن كان يحب القرآن فإنه يحب الله ورسوله » .

ورواه الحر بن مالك ، عن شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله مرفوعًا (٢) : « **من سره أن يحب الله ورسوله فليقرأ في المصحف** » والموقوف أصح (٣) .

(١) برقم (١٥٥٩) قال البوصيري في مصباح الزجاجة (١/٥٠٨) ليس لأدرع السلمي هذا عند ابن ماجه سوى هذا الحديث ، وليس له شيء في الخمسة الأصول ، وإسناد حديثه ضعيف ؛ لضعف موسى بن عبيدة الربذي .

(٢) أخرجه ابن عدي في الكامل (٢/٤٤٩) ، وأبو نعيم في الحلية (٧/٢٠٩) ، والبيهقي في الشعب (٢٠٢٧) .
قال ابن عدي : وهذا لا يرويه عن شعبة غير الحر بهذا الإسناد ، وللحر عن شعبة وعن غيره أحاديث ليست بالكثيرة ، وأما هذا الحديث عن شعبة بهذا الإسناد فمنكر.
وقال أبو نعيم في الحلية : غريب ، تفرد به الحر بن مالك .
وقال البيهقي : هكذا روي بهذا الإسناد مرفوعًا ، وهو منكر ، تفرد به أبو سهل الحر بن مالك عن شعبة .

(٣) أخرجه عبد الرزاق في « مصنفه » (٥٩٧٩) ، وابن أبي شيبة في « مصنفه » =

ورويناه من طريق سلمة بن كهيل ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن ابن مسعود قال : « من كان يحب أن يعلم أنه يحب الله ـ عز وجل ـ فليعرض نفسه على القرآن ، فمن أحب القرآن فهو يحب الله ـ عز وجل ـ فإنما القرآن كلام الله ـ عز وجل » .

وقال أحمد بن أبي الحواري : سمعت ابن عيينة يقول : « لا تبلغون ذروة هذا الأمر حتى لا يكون شيء أحب إليكم من الله ـ عز وجل ـ ، فمن أحب القرآن فقد أحب الله ـ عز وجل » .

قال أحمد بن أبي الحواري : سمعت محمد بن حفص يذكر عن عروة الرقي قال : « حب الله ـ عز وجل ـ : حب القرآن ، وحب رسول الله ﷺ : العمل بسنته»

وقال أبو سعيد الخراز : « من أحب الله ـ عز وجل ـ أحب كلامه ولم يشبع من تلاوته » .

وقال أبو طالب المكي : قال سهل بن عبد الله : « علامة حب الله : حب القرآن » .

قال : وروينا عن أبي تراب النخشبي هذه الأبيات :

لا تخدعن فللمحب دلائل ... ولديه من تحف الحبيب وسائل
منها تنعمه بمر بلائه ... وسروره في كل ما هو فاعل
فالمنع منه عطية مقبولة ... والفقر إكرام وبر عاجل
ومن الدلائل أن يرى من عزمه ... طوع الحبيب وإن ألح العاذل
ومن الدلائل أن يرى متبسمًا ... والقلب فيه من الحبيب بلابل
ومن الدلائل أن يرى متفهمًا ... لكلام من يحظى لديه السائل

= (١٠/ ٥٣١) ، والطبراني في الكبير (٩/ ٨٦٨٧) ، والبيهقي في « الشعب » (٢٠٢٨، ٢٠٢٩) .

ومن الدلائل أن يرى متقشفــــا متحفظا في كل ما هو قائــــل

وقال أبو طالب : حدثونا عن بعض المريدين قال : « وجدت حلاوة المناجاة في مر الإرادات ، فأدمت على قراءة القرآن ليلا ونهاراً ، ثم لحقني فترة فانقطعت عن التلاوة ، فسمعت قائلا يقول في المنام : إن كنت تزعم حبي فلم جفوت كتابي ؟ أما ترى إلى ما فيه من لطيف عتابي .

قال: فانتبهت وقد أُشْرب قلبي محبة القرآن ، فعاودت إلى حالي الأولى » .

* * *

الباب السادس
في أنس المحبين بالله
وأنه ليس لهم مقصود من الدنيا والآخرة سواه

ثبت في الصحيحين [(١)] والسنن [(٢)] والمسانيد [(٣)] من غير وجه أن «جبريل - عليه السلام - سأل النبي ﷺ عن الإحسان ، فقال النبي ﷺ : « **الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك** » .

وقال بعض العارفين من السلف : « من عمل لله على المشاهدة فهو عارف ، ومن عمل على مشاهدة الله إياه فهو مخلص »

فهذان مقامان :

أحدهما : الإخلاص ، وهو أن يعمل العبد على استحضار مشاهدة الله إياه واطلاعه عليه وقربه منه ، فإذا استحضر العبد ذلك في عمله وعمل على هذا المقام فهو مخلص لله ؛ لأن استحضاره ذلك يمنعه من الالتفات إلى غير الله وإرادته بالعمل .

والثاني : المعرفة التي تستلزم المحبة الخالصة ، وهو أن يعمل العبد على مشاهدة الله بقلبه ، وهو أن يتنور قلبه بنور الإيمان وتنفذ بصيرته في العرفان حتى يصير الغيب عنده كالعيان ، وهذا هو مقام الإحسان المشار إليه في حديث جبريل - عليه السلام - ويتفاوت أهل هذا المقام فيه بحسب قوة نفوذ البصائر .

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠، ٤٧٧٧) ،ومسلم (١) .

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٧٠) ، والترمذي (٢٦١٠) والنسائي (٨ / ٩٧) ابن ماجه (٦٣) .

(٣) أخرجه أحمد (١/ ٢٧ ، ٥١ ، ٣١٩) ، (٢/ ١٠٧) ، (٢/٤٢٦) ، (٤) / ١٢٩).

وقد فسر طائفة من العلماء المثل العلي المذكور في قوله تعالى : ﴿ وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [الروم:٢٧] بهذا ، ومثله قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾ [النور:٣٥] .

وقد فسرها أبي بن كعب وغيره من السلف بأن المراد مثل نور الله في قلب المؤمنين .

ومن هذا حديث حارثة المشهور لما قال النبي ﷺ « وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً ؛ وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها ، وإلى أهل النار يتعاوون فيها . فقال النبي ﷺ : عرفت فالزم ، عبد نَوَّرَ اللهُ الإيمان في قلبه » .

وهذا الحديث مروي مرسلا ، وروي مسنداً متصلا ، لكن من وجوه ضعيفة(١) .

« وخطب عروة إلى ابن عمر ابنته وهما في الطواف فلم يجبه بشئ ، ثم رآه بعد ذلك فاعتذر إليه . وقال : كنا في الطواف نتخايل الله بين أعيننا » .

خرجه أبو نعيم (٢) وغيره (٣) .

ويتولد من هذين المقامين للعارفين مقام الحياء من الله ـ عز جل ـ ، وقد أشار النبي ﷺ إلى ذلك في حديث بهز بن حكيم ، عن أبيه ، عن جده (٤) « أنه سئل عن كشف العورة خاليًا ، فقال : الله أحق أن يستحيا منه »

وقد ندب النبي ﷺ إلى دوام استحضار معية الله وقربه وإلى الحياء منه بذلك

---

(١) تم تخريجه في موضع آخر من مجموع الرسائل .
(٢) في الحلية (١ / ٣٠٩) .
(٣) وأخرجه الفاكهي في « أخبار مكة » (٣٣٩) .
(٤) علقه البخاري (١/٤٥٨) .

وأخرجه أبو داود (٣٩٩٨ ـ عون) ، والترمذي (٢٩١٩ ، ٢٩٤٦ ـ تحفة) وقال : حسن ، إلا أن المزي نقل عنه في أحد الموضعين أنه قال : غريب كما في تحفة الأشراف (٨/٤٢٨) .

في غير حديث ، كما دل عليه قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ [الحديد: ٤] وقوله تعالى : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ... ﴾ الآية [يونس: ٦١] .

وخرج البزار من حديث عبد الله بن معاوية الغاضري « أن رجلا قال : يا رسول الله ، ما تزكية المرء نفسه ؟ قال : **أن يعلم أن الله حيث كان معه** » .

وخرج الطبراني [١] من حديث عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال : « **أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيث كنت** » وبإسناد فيه نظر من حديث أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ : « **ثلاثة في ظل الله ـ تعالى ـ يوم لا ظل إلا ظله : رجل حيث توجه علم أن الله معه** ... » [٢] إلخ .

ومن حديث سعيد بن يزيد الأزدي « أنه قال للنبي ﷺ : أوصني .

قال : **أوصيك أن تستحي من الله كما تستحي رجلا صالحًا من صالحي قومك**» [٣] . ورويناه بإسناد فيه ضعف من حديث أبي أمامة أن النبي ﷺ قال : «**استحِ من الله استحياءك من رجلين من صالحي عشيرتك هما معك لا يفارقانك**»[٤] .

---

(١) في الكبير ، والأوسط (٨٧٩٦) . وقال الطبراني : لم يرو هذا الحديث عن عروة بن رويم إلا محمد بن مهاجر ، تفرد به عثمان بن كثير .
قال الهيثمي في المجمع (١ / ٦٠): رواه الطبراني في الأوسط وفي الكبير ، وقال : تفرد به عثمان بن كثير .
قلت : ولم أر من ذكره بثقة ولا جرح ا.هـ .
وأخرجه أبو نعيم في الحلية (٦/ ١٢٤) وقال : غريب من حديث عروة ، لم نكتبه إلا من حديث محمد بن مهاجر .

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٨/ ٧٩٣٥) . وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٢٧٩) : وفيه بشر بن نمير، وهو متروك .

(٣) أخرجه أحمد في الزهد (٢٤٨) والطبراني في « الكبير » (٦/ ٥٧٦) .
وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٢٨٤) : ورجاله وثقوا على ضعف في بعضهم .

(٤) أخرجه ابن عدي في الكامل (٢/ ١٣٦) وقال : وهذا الحديث بهذا الإسناد ليس =

في هذا المعنى يقول بعضهم :

كأن رقيب منك يرعى خواطـــري ... وآخر يرعى ناظري ولساني
فما أبصرت عيناي بعدك منظـــراً ... لغيرك إلا قلت قد رمقاني
ولابدرت من في بعدك لفظـــــة ... لغيرك إلا قلت قد سمعاني
ولاخطرت من ذكر غيرك خطـــرة ... على القلب إلا عرجا بعناني
إذا ما تسلى القاعدون عن الهـوى ... بذكر فلان أو كلام فلان
وجدت الذي يسلي سواي يشوقني ... إلى قربكم حتى أمل مكاني
وإخوان صدق قد سئمت لقاءهـــم ... وغضضت طرفي عنهمو ولساني
وما البغض أسلى عنهمو غير أنـني ... أراك على كل الجهات تراني

ويتولد من ذلك أيضًا الأنس بالله والخلوة لمناجاته وذكره واستثقال ما يشغل عنه من مخالطة الناس والاشتغال بهم ، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال : « **إن أحدكم إذا كان يصلي فإنما يناجي ربَّهُ أو ربُّهُ بينه وبين القبلة** » [(١)] .

وأنه قال : « **إن الله قبل وجهه إذا صلى** » [(٢)] .

وفي حديث الحارث الأشعري عن النبـي ﷺ : « **أن الله تعالـى ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت** » [(٣)] وفي حديث أبي هريرة [(٤)] وأبي

= يرويه غير صغدي ، وإنما يروي هذا الحديث الليث بن سعد » .
وقال الألباني في الضعيفة (١٥٠٠) : وهذا إسناد واه جداً » .

(١) أخرجه البخاري (٤٠٥) وفي مواضع أخري ، ومسلم (٥٥١) من حديث أنس .
وأخرجه البخاري (٤١٦) من حديث أبي هريرة .

(٢) أخرجه البخاري (٤٠٦) وفي مواضع أخري ، ومسلم (٥٤٧) من حديث ابن عمر .

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ١٣٠ ، ٢٠٢) ، والترمذي (٣٠٢٣، ٣٠٢٤ تحفة) .
قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب .
وقال في رقم (٣٠٢٤ تحفة). : هذا حديث حسن غريب . بينما في السنن المطبوعة بتحقيق إبراهيم عطوة برقم (٢٨٦٤) قال : هذا حديث حسن صحيح غريب .

(٤) ذكره البخاري « معلقًا » (١٣/ ٥٠٨) وأخرجه في خلق أفعال العباد (٣٤٤)

الدرداء [1] عن النبي ﷺ قال : « يقول الله ـ عز وجل ـ : **أنا مع عبدي إذا ذكرني وتحركت بي شفتاه** » .

وصح من حيث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ : « يقول ـ الله تعالى ـ : **أنا عند ظن عبدي بي أنا معه حيث يذكرني ؛ فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منهم، وإن اقترب إلي شبراً اقتربت إليه ذراعًا ، وإن اقترب إلى ذراعًا اقتربت إليه باعًا ، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة** » [2] .

وروينا بإسناد فيه نظر عن أنس مرفوعًا : « **إذا أحب أحدكم أن يحدث ربه فليقرأ** » [3] .

وقال ثور بن يزيد : « **قرأت في التوراة أن عيسى ـ عليه السلام ـ قال : يا معشر الحواريين ، كلموا الله كثيراً وكلموا الناس قليلا . قالوا : كيف نكلم الله كثيراً ؟! قال: اخلوا بمناجاته ، اخلوا بدعائه** » .

خرجه أبو نعيم .

والتوراة اسم جنس للكتب المتقدمة كلها وتسمى أيضًا إنجيلا وقرآنًا .

وخرج أيضًا بإسناد فيه ضعف عن رباح قال : « **كان عندنا رجل يصلي كل يوم وليلة ألف ركعة حتى أقعد من رجليه ، فكان يصلي جالسًا ألف ركعة ، فإذا صلي العصر احتبى فاستقبل القبلة ويقول : عجبت للخليقة كيف أنست بسواك ؟ بل عجبت للخليقة كيف استنارت قلوبها بذكر سواك ؟!** » .

---

(١) أخرجه الحاكم (١/٤٩٦) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

(٢) أخرجه البخاري (٧٥٠٥) ، ومسلم (٢٦٧٥) .

(٣) أخرجه الخطيب في «تاريخه» (٧ / ٢٣٩) ونقل العلامة الألباني في الضعيفة (١٨٤٢) قول ابن عبد الهادي الحنبلي في « هداية الإنسان » (٢/ ٣٢/ ١) : إسناده مظلم ، ولا يثبت مرفوعًا .
قال الألباني ـ رحمه الله ـ : ولا موقوفًا ، فإنه لم يرد إلا من هذا الوجه الواهي . وحكم على الحديث بأنه ضعيف جدًا .

ورويناه من حديث أبي أسامة قال : « دخلت على محمد بن النضر الحارثي فرأيته كأنه ينقبض ، فقلت : كأنك ترى تكره أن تؤتى ؟

قال : أجل . قلت : أو ما تستوحش ؟ قال : كيف أستوحش وهو يقول : أنا جليس من ذكرني ؟! .

وقال بكر المزني : « من مثلك يا ابن آدم ، خلى بينك وبين المحراب والماء ، كلما شئت دخلت على الله ـ عز وجل ـ ليس بينك وبينه ترجمان » . خرجه عبد الله بن الإمام أحمد .

وروى ابن أبي الدنيا بإسناده عن شميط بن عجلان قال : « إن الله وسم الدنيا بالوحشة ليكون أنس المنقطعين به » .

وعن حبيب أبي محمد « أنه كان يخلو في بيته ثم يقول : من لم تقر عينه بك فلا قرت ، ومن لم يأنس بك فلا أنس » .

وعن زكريا بن عدي قال : « سمعت عابداً باليمن يقول :سرور المؤمن ولذته في الخلوة بمناجاة سيده ـ عز وجل » .

وعن أحمد بن أبي الحواري قال : حدثني أبو عبد الرحمن الأزدي قال : «مررت برجل ببيروت مدلى الرجلين في البحر يكبر . فقلت : يا شاب ، ما لك جالس وحدك ؟ قال : اتق الله ولا تقل إلا حقا ، ما كنت قط وحدي منذ ولدتني أمي ، إن معي ربي ـ عز وجل ـ حيثما كنت ، ومعي ملكان يحفظان علي ، وشيطان ما يفارقني ، فإذا عرضت لي حاجة إلى ربي سألته إياها بقلبي فجاءني بها» .

وعن إبرهيم بن أدهم قال : « اتَّخِذِ الله صاحبًا ودع الناس جانبًا » .

وعن عبد الواحد بن زيد قال : « كان أصحاب غزوان يقولون له : ما يمنعك عن مجالسة إخوانك ؟ فيبكي ويقول : إني أصبت راحة قلبي في مجالسة من لديه حاجتي » .

وعن مسلم بن يسار قال : « ما تلذذ المتلذذون بمثل الخلوة بمناجاة الله عز وجل » .

وعن عبد العزيز بن سليمان الراسبي ، وكانت رابعة تسميه : سيد العابدين «أنه قيل له : ما بقي مما يتلذذ به ؟ قال : سرداب أخلو بربي فيه » .

وعن مسلم العابد قال : « لولا الجماعة - يعني : الصلاة في الجماعة - ما خرجت من باب أبداً حتى أموت .

وقال : ما يجد المطيعون الله لذة في الدنيا أحلى من الخلوة بمناجاة سيدهم ، ولا أحب لهم في الآخرة من عظيم الثواب أكبر في صدورهم وألذ في قلوبهم من النظر إلى الله - عز وجل - ثم غشي عليه » .

وعن شعيب بن حرب قال : « دخلت على مالك بن مغول وهو جالس في بيته وحده ، فقلت : ألا تستوحش ؟ قال : أو يستوحش مع الله أحد ؟! » .

وعن يحيى بن سعيد قال : قال نصر بن يحيى بن أبي كثير - وكان من الحكماء : - « لم نجد شيئًا أبلغ من الزهد في الدنيا من ثبات حرث الآخرة في قلب العبد ، ومن ثبت ذلك في قلبه آنسه بالوحدة فأنس بها واستوحش من المخلوقين ، فأول ما يهيج من حب الخلوة طلب العبد الإخلاص والصدق في جميع قوله وفعله فيما بينه وبين ربه ، ويهيج منها الزهد في معرفة الناس والأنس بالله - تبارك وتعالى - ويهيج منها الوحشة من الناس والاستثقال لكلامهم والأنس بكلام رب العالمين » .

ويروى عن إبراهيم بن أدهم قال : « أعلى الدرجات أن تنقطع إلى ربك وتستأنس إليه بقلبك وعقلك وجميع جوارحك حتى لا ترجو إلا ربك ولا تخاف إلا ذنبك وترسخ محبته في قلبك حتى لا تؤثر شيئًا عليه ؛ فإذا كنت كذلك لم تبال في بر كنت أو في بحر أو في سهل أو في جبل ؛ وكان شوقك بلقاء الحبيب شوق الظمآن إلى الماء البارد ، وشوق الجائع إلى الطعام الطيب ، ويكن ذكر الله - عز وجل - عنك أحلى من العسل وأشهى من الماء العذب الصافي عن العطشان في

اليوم الصائف » .

وقال الفضيل : « طوبى لمن استوحش من الناس وكان الله أنيسه » .

وقال أبو سليمان : « لا آنسني الله ـ عز وجل ـ إلا به أبداً » .

وقال رجل لمعروف الكرخي : « أوصني . قال : توكل على الله حتى يكون جليسك وأنيسك وموضع شكواك ، وأكثر ذكر الموت حتى لا يكون لك جليس غيره ، واعلم أن الشفاء لما نزل بك كتمانه ، وأن الناس لا ينفعونك ولا يضرونك ولا يعطونك ولا يمنعونك » .

وقال سعيد بن عثمان : سمعت ذا النون يقول : « من علامات المحب لله : ترك كل ما يشغله عن الله حتى يكون الشغل بالله وحده . ثم قال : إن من علامات المحبين لله أن لا يأنسوا بسواه ولا يستوحشوا معه ثم قال : إذا سكن حب الله القلب أنس بالله ؛ لأن الله أجل في صدور العارفين من أن يحبوا سواه».

وكانت رابعة العدوية تنشد هذين البيتين :

ولقد جعلتك في الفؤاد محدثي … وأبحت جسمي من أراد جلوسي

فالجسم مني للجليس مؤانس … وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي

ورؤي بعض العارفين يصلي في مكان وحده ، فلما سلم قيل له :

« ما معك مؤنس ؟ قال : بلى . قيل له : أين هو ؟ قال : أمامي وخلفي ومعي وعن يميني وعن شمالي وفوقي . قيل له : معك زاد ؟ قال : نعم : الإخلاص . قيل له : أما تستوحش في وحدتك ؟ قال : إن الأنس بالله قطع عني كل وحشة حتى لو كنت بين السباع ما خفتها » .

وقال بعض العارفين : « عجبت لمن عرف الطريق إلى الله كيف يعيش مع غيره ، والله ـ تعالى ـ يقول : ﴿ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ ...﴾ الآية [الزمر: ٥٤] » .

ولو استقصينا ما في هذا الباب من الأخبار والآثار لطال الكتاب جداً .

ومن الأنس ـ بالله عز وجل ـ الأنس بكلامه وذكره والأنس بالعلم النافع الذي بلغه رسوله ﷺ عنه .

وروى أبو نعيم بإسناده عن ذي النون قال : « الأنس بالله نور ساطع ، والأنس بالناس غم واقع » .

« قيل لذي النون : ما الأنس بالله ؟ قال : العلم والقرآن » .

ومن كلام الفضيل بن عياض : « كفى بالله محبًا وبالقرآن مؤنسًا وبالموت واعظًا ، اتخذ الله صاحبًا ودع الناس جانبًا .

وقال : « من لم يستأنس بالقرآن فلا أنس الله وحشته » .

وقد روي من حديث أنس مرفوعا : « علامة حب الله : حُبُّ ذكره ، وعلامة بغض الله بغضُ ذكره » [1] من طريقين غير صحيحين .

وكان فتح الموصلي يقول : « المحب لله لا يجد مع حب لله ـ عز وجل ـ للدنيا لذة ، ولا يغفل عن ذكر الله ـ عز وجل ـ طرفة عين » .

خرجه إبراهيم بن الجنيد .

وخرج أيضًا بإسناده عن الربيع بن أنس عن بعض أصحابه قال : « علامة حب الله : كثرة ذكره ، فإنك لن تحب شيئًا إلا أكثرت ذكره ، وعلامة الدين: الإخلاص لله ـ عز وجل ـ وعلامة العلم خشية الله ـ عز وجل ـ ، وعلامة الشكر : الرضا بقضاء الله ـ عز وجل ـ والتسليم للقدر » .

ومما ينشأ من معرفة الله ـ تعالى ـ ومحبته الاكتفاء به والاستغناء به عن خلقه.

ومنه قول أحمد بن عاصم الأنطاكي : « من عرف الله ـ عز وجل ـ اكتفى

---

(١) أخرجه البيهقي في « الشعب » (٤٠٦) من حديث أنس ، قال البيهقي ـ رحمه الله ـ :
وروي من وجه آخر عن زياد بن ميمون ، وزياد منكر الحديث .
وروي من وجه آخر ضعيف عن أنس بن مالك ، والله أعلم .

به ، ومن لم يعرفه اكتفى بخلقه دونه ، ، فطال غمه وكثرت شكايته ، ومن أحب ـ الله تعالى ـ لم يكن في قلبه فضلة لحب أحد ؛ ولو أراد لم يترك »

ومنه قول على بن الكاتب : « إذا انقطع العبد إلى الله بالكلية فأول ما يفيده: الاستغناء به عمن سواه »

ومنه قول بعض العارفين : « من لزم الباب أثبت في الخدم ، ومن استغنى بالله أمن من العدم » .

وفي بعض الإسرائيليات يقول الله ـ عز وجل ـ :

« ابن آدم ، اطلبني تجدني ، فإن وجدتني وجدت كل شيء ، وإن فُتُّكَ فاتك كل شيء ، وأنا أحب إليك من كل شيء »

وأنشد أبو الحسن بن سيار الزاهد :

تنقضي الدنيا وتفنـــى   والفتى فيها مُعَنَّـــى
ليس في الدنيا نعيـــم   لا ولا عيش مهنـــا
يا غنيا بالدنانيـــــــر   محـــب الله أغنـــى

ولبعضهم :

وكم كنت أخشى الفقر حتى وجدتكم   فصرت أذل المفلسين عليكمـــــوا

* * *

فصل
« هم العارفين رؤية ربهم »

وهمم العارفين المحبين متعلقة من الآخرة برؤية الله ، والنظر إلى وجهه في دار كرامته والقرب منه ، وقد سبق قول مسلم العابد في ذلك .

وقال عبد الواحد بن زيد عن الحسن : « لو علم العابدون أنهم لا يرون ربهم يوم القيامة لماتوا » . وفي رواية عنه قال : « لذابت أنفسهم » .

وقال إبراهيم الصائغ : « ما سرني أن لي نصف الجنة بالرؤية . ثم تلا : ﴿كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] » وخرجه ابن أبي حاتم .

وروى ابن منده بإسناده عن عبد الله بن وهب قال : « لو خيرت بين دخول الجنة والنظر إلى ربي ـ عز وجل ـ لاخترت النظر إليه سبحانه وتعالى » .

وقال غزوان الرقاشي في قوله تعالى : ﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ [ق: ٣٥]

قال : « ما يسرني بحظي من المزيد الدنيا جميعها ». خرجه الإمام ـ أحمد رحمه الله تعالى .

وخرج أيضًا بإسناده عن حبيب أبي محمد قال : « لأن أكون في صحراء ليس عليّ إلا ظلمة وأنا جار لربي ـ عز وجل ـ أحب إلي من جنتكم هذه » وقوله : من « جنتكم هذه » توبيخ لمن تعلق همته من العباد بأنواع نعيم الجنة المتعلق بالمخلوقات فيها مقتصراً على ذلك .

ولهذا كان أبو سليمان يقول : « الدنيا عند الله أقل من جناح بعوضة ، فما قيمة جناح البعوضة حتى يزهد فيها ؟ إنما الزهد في الجنة والحور العين ، وكل نعيم خلقه الله ويخلقه حتى لا يرى الله في قلبك غيره » .

وكان يقول : « أهل المعرفة دعاؤهم غير دعاء الناس ، وهممهم من الآخرة

غير همم الناس » .

وسئل عن أقرب ما يتقرب به العبد إلى الله ـ عز وجل ـ ؟ فبكى وقال : «مثلي يُسْأَلُ عن هذا ؟! أفضل ما يتقرب به العبد إلى الله ـ عز وجل ـ أن يطلع على قلبك وأنت لا تريد من الدنيا والآخرة غيره » .

وقال : « لو لم يكن لأهل المعرفة إلا هذه الآية الواحدة لاكتفوا بها ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة: ٢٢] » .

وقال : « أي شيء أراد أهل المعرفة ؟ ما أرادوا كلهم إلا ما سأل موسى ـ عليه السلام » .

وذكر ابن أبي الدنيا بإسناده عن مسمع بن عاصم قال : اختلف العابدون عندنا في الولاية ؛ فتكلموا في ذلك كلامًا كثيرًا ، واجتمعوا على أن يأتوا امرأة من بني عدي يقال لها : أمة الجليل بنت عمرو ، وكانت منقطعة جدًا من طول الاجتهاد ، فأتوا فعرضوا عليها اختلافهم وما قالوا ، فقالت : ساعات الولي ساعات شغل عن الدنيا ، ليس للولي المستحق في الدنيا من حاجة » . ثم أقبلت على كلاب بن جري فقالت : من حدثك أو أخبرك أن وليه له هم غيره فلا تصدقه . قال مسمع : فما كنت أسمع إلا التصارخ من نواحي البيت » .

وروى إبراهيم ببن الجنيد ، عن محمد بن الحسين قال : حدثني حكيم بن جعفر قال : قال ضيغم لكلاب : « إن حبه شغل قلوب مريديه عن التلذذ بمحبة غيره ، فليس لهم مع حبه لذة تداني محبته ولا يكون في الآخرة من كرامة الثواب أكبر عندهم من النظر إلى وجهه) . قال : فسقط كلاب عند ذلك مغشيا عليه» .

وروى بإسناده عن عبد العزيز بن سليمان العابد أنه كان يقول في كلامه : أنت أيها المحب ، تزعم أن محبتك لله تحقيق ، أما والله لو كنت كذلك لضاقت عليك الأرض برحبها حتى تصل إلى رضا حبيبك وإلى النظر إلى وجهه في دار كبريائه وعزه . قال : ولقد كان إذا أخذ في هذا النعت سمعت التصارخ من نواحي المسجد » .

« وقال حبيب الفارسي ليزيد الرقاشي : بأي شيء تقر عيون العابدين في الدنيا ؟ وبأي شيء تقر عيونهم في الآخرة ؟ فقال : أما الذي تقر عيونهم به في الدنيا ، فما أعلم [شيئًا] [1] أقر لعيون العابدين من التهجد في ظلمة الليل . وأما الذي تقر أعينهم به في الآخرة ، فما أعلم شيئًا من نعيم الجنان وسرورها ألذ عند العابدين ولا أقر لعيونهم من النظر إلي ذي الكبرياء العظيم إذا رفعت تلك الحجب وتجلى لهم الكريم فصاح حبيب عند ذلك صيحة وخر مغشيا عليه ».

وكان علي بن الموفق كثيراً ما يقول : « اللهم إن كنت تعلم أني أعبدك خوفًا من نارك فعذبني بها ،وإن كنت تعلم أني أعبدك شوقًا إلى جنتك فاحرمنيها ، وإن كنت تعلم أني إنما أعبدك حبا مني لك وشوقًا إلى وجهك الكريم فأبحنيه واصنع بي ما شئت » .

وكانت رقية الموصلية تقول : « إني لأحب ربي حبا شديداً ، فلو أمر بي إلى النار لما وجدت للنار حرا مع حبه ، ولو أمر بي إلى الجنة لما وجدت للجنة لذة مع حبه هو الغالب علي » .

وكانت تقول : « إلهي وسيدي ومولاي ، لو أنك عذبتني بعذابك كله لكان ما فاتني من قربك أعظم عندي من العذاب ، ولو نعمتني بنعيم الجنة كله ، لكانت لذة حبك في قلبي أكبر » .

ومن كلام ذي النون : « ما طابت الدنيا إلا بذكره ، ولا طابت الآخرة إلا بعفوه ، ولا طابت الجنان إلا برؤيته » .

وقال أحمد بن أبي الحواري : حدثنا محمد بن يحيى الموصلي قال : سمعت نافعًا ـ وكان من عباد الجزيرة ـ يقول : « ليت ربي جعل ثوابي من عملي نظرة مني إليه ، ثم يقول لي : يا نافع : كن ترابا » .

وفي هذا المعنى يقول القائل :

حرمة الود مالي عنكمو عوض ... وليس لي في سواكم سادتي غرض

---

(١) في « الأصل » : شيء ، والمثبت هو الصواب .

وقد شرطت على قوم صحبتهمو بأن قلبي بكم من دونهم فرضـــوا
ومن حديثي بكم قالوا به مـرض فقلت لا زال عني ذلك المـــرض

وأنشد بعض العارفين :

يا حبيب القلوب من لي سـواكـا ارحم اليوم مذنبا قد أتـاكـــــا
أنت سؤلي ومنيتي وســــروري قد أبى القلب أن يحب سواكـا
يا مرادي وسيدي واعتمــــادي طال شوقي متى يكون لقاكــــا
ليس سؤلي من الجنان نعيــــــم غيـر أني أريدها لأراكـــــــا

* * *

الباب السابع
في سهر المحبين وخلوتهم بمناجاة مولاهم الملك الحق المبين

قال الله - تعالى - : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ...﴾ الآية [السجدة:١٦] . وأشرف الطمع طمع أهل الجنة في رؤية مولاهم وقربه وجواره .

وروى أبو نعيم بإسناده عن حسين بن زياد قال : « أخذ فضيل بن عياض بيدي فقال : يا حسين ، ينزل الله - تعالى - كل ليلة إلى سماء الدنيا فيقول : كذب من ادعى محبتي ؛ فإذا جنه الليل نام عني ، أليس كل حبيب يحب خلوة حبيبه ، ها أنا ذا مطلع على أحبائي إذا جَنَّهم الليل مُثِّلَتْ نفسي بين أعينهم، فخاطبوني على المشاهدة وكلموني على حضوري ، غداً أقر أعين أحبائي في جناني».

وروي من وجه آخر ، وفيه : « جعلت أبصارهم في قلوبهم ، ومثلت نفسي بين أعينهم » .

وروى أبو نعيم بإسناده عن أحمد بن أبي الحواري قال : « دخلت على أبي سليمان فرأيته يبكي ، فقلت : ما يبكيك ؟ قال : ويحك يا أحمد ؟ إذا جن الليل وخلا كل حبيب بحبيبه افترش أهل المحبة أقدامهم وجرت دموعهم على خدودهم وأشرف الجليل - جل جلاله - عليهم وقال : بعيني من تلذذ بكلامي واستروح إلى مناجاتي ، وإني مطلع عليهم في خلواتهم ، أسمع أنينهم وأرى بكاءهم وحنينهم ، يا جبريل ، ناد فيهم ما هذا الذي أراه منكم ؟ وهل خبركم مخبر أن حبيبًا يعذب أحبابه بالنار ، بل كيف يجمل أن أعذب قومًا إذا جنهم الليل

تملقوني ، فبي حلفت إذا وردوا القيامة عَلَيَّ أن أسفر لهم عن وجهي] (*) وأمنحهم رياض قدسي » .

ورويت هذه القصة من وجه آخر عن أحمد [بن أبي الحواري] (١) عن أبي سليمان ، وفي أولها زيادة وهي : أن الله ـ تعالى ـ ينزل في كل ليلة إلى سماء الدنيا فيقول : كذب من ادعى محبتي ، فإذا جنه الليل نام عني ، كيف ينام (محب)(٢) عن حبيبه ؟ وأنا المطلع عليه ، إذا قاموا جعلت أبصارهم في قلوبهم فكلموني على المخاطبة . . . » وذكر الباقي بمعنى ما تقدم مختصراً .

وروى « أبو نعيم » أيضًا بإسناده عن ذي النون أنه قال :

« لو رأيت أحدهم وقد قام إلى صلاته وقراءته ، فلما وقف في محرابه واستفتح كلام سيده خطر على قلبه أن ذلك المقام هو المقام الذي يقوم الناس فيه لرب العالمين ، فانخلع قلبه وذهل عقله ، فقلوبهم في ملكوت السموات معلقة ، وأبدانهم بين يدي الخالق عارية ، وهمومهم بالفكر دائمة .

وبإسناده عن ذي النون أيضاً « أنه قال في وصفهم :يتلذذون بكلام الرحمن، ينوحون ، به على أنفسهم نوح الحمام ، فرحين في خلواتهم لا تفتر لهم جارحة في الخلوات ، ولا تستريح لهم قدم تحت ستور الظلمات » .

ومن طريق إسحاق السلولي [قال] (٢) : حدثتني أم سعيد بن علقمة ـ وكانت طائية ـ قالت : « كان بيننا وبين داود الطائي جدار قصير ، فكنت أسمع حنينه عامة الليل لا يهدأ (وكثيرا ما) (٣) سمعته يقول في جوف الليل : اللهم همك عطل عَلَيَّ الهموم ، وخالف بيني وبين السهاد ، وشوقي إلى النظر إليك أوثق مني اللذات وحال بيني وبين الشهوات ، فأنا في سجنك أيها الكريم

(*) إلى هنا انتهى السقط المشار إليه آنفًا من النسخة المخطوطة التي اعتمدت عليها في تحقيقي.
(١) من المطبوع .
(٢) في المطبوع : حبيب .
(٣) في المطبوع : ولربما .

مطلوب».

قالت : « وربما ترنم في السحر بشيء من القرآن ، فأرى أن جميع نعيم الدنيا جمع في ترنمه تلك الساعة . قالت : وكان يكون في الدار وحده ، وكان لا يصبح - أي : لا يسرج » .

وروى الحافظ أبو الفرج بإسناده عن الربيع قال : « بت أنا ومحمد بن المنكدر وثابت البناني عند ريحانة المجنونة (بالأُبُلَّةِ) [1] فقامت بالليل وهي تقول :

[ق/١٣] قام المحب إلى المؤمل قومةً كاد الفؤاد من السرور يطيـــــر

فلما كان جوف الليل سمعتها تقول أيضًا :

لا تأنسن بمن توحشك نظرتـــــه فتمنعن من التذكار في الظلـــم

واجهد وكد وكن في الليل ذا شجن يسقيك كأس وداد العز والكـرم

قال : ثم نادت : واحزناه ! واسلباه ! . فقلت : مم ذا ؟! فقالت :

ذهب الظلام بأنسه وبإلفــــــه ليت الظلام بأنسه يتجـــدد » .

وروى ابن أبي الدنيا بإسناده عن مطرف بن أبي بكر الهذلي قال :

« كانت عجوز في عبد القيس متعبدة (فإذا) [2] جاء الليل تحزمت ثم قامت إلى المحراب ، وكانت تقول : المحب لا يسأم من خدمة حبيبه » .

وسئل بعض العارفين عن حاله ، فأنشد :

من لم يبت والحب حشو فؤاده لم يدر كيف تفتت الأكباد

وروينا من طريق الحسن بن علي بن يحيى بن سلام قال : « قيل ليحيي بن معاذ - يروي عن رجل من أهل الخير - وكان قد أدرك الأوزاعي وسفيان أنه سئل: متى تقع الفراسة على الغائب ؟ قال : إذا كان محبًا لما أحب الله ، مبغضًا لما أبغض الله وقعت فراسته على الغائب . فقال يحيى :

---

(١) في المطبوع : بالأيلة .

(٢) في المطبوع : فكانت إذا .

كل محبوب سوى الله سـرف وهموم وغموم وأسـف

كل محبوب فمنه لي خلـف ما خلا الرحمن ما منه خلـف

إن للحـب دلالات إذا ظهرت من صاحب الحب عُـرِف

صاحب الحب حزين قلبـه دائم الغصة (مهموم) (١) دَنِـف

همه في الله لا في غيـره ذاهب العقل وبالله كلـف

أشعث الرأس خميص بطنـه أصفر (الوجنة و) (٢) الطرف ذرف

دائم (التذكير) (٣) من حب الـذي حبه غاية غايات الشـرف

فإذا أمعن في الحب لـه وعلاه الشوق (من داء) (٤) كشـف

باشر المحراب يشكو بثـه وأمام الله مولاه وقـف

قائما قدامه منتصبـاً لهجا يتلو بآيات الصحـف

راكعًا طوراً وطوراً ساجـد باكيًا والدمع في الأرض يكـف

أورد القلب على (الحب) (٥) الذي فيه حب الله حقا فعـرف

ثم جالت كفه في شجـر ينبت الحب (فسمى) (٦) واقتطـف

إن ذا الحب لمن يعنى بـه لا بدار ذات - لهو وطـرف

لا ولا الفردوس لا يألفهـا لا ولا الحوراء من فوق غـرف

وروى أبو موسى المديني بإسناده عن أبي محمد عبد الله بن عروة قال : أنشدني بعض الناس :

---

(١) في المطبوع : « مغموم » .

(٢) في المطبوع : « أصفر الوجه وفي » .

(٣) في المطبوع : « التذكار » .

(٤) في المطبوع : « مما قد » .

(٥) في المطبوع : « حب » .

(٦) في الأصل : « فيسمي » ، وما أثبته من المطبوع .

تشاغل قوم بدنياهـــــم وقوم تخلوا (بمولاهـم) (١)

فألزمهم باب مرضاتـــــه وعن سائر الخلق أغناهـــم

فما يعرفون سوى حبـــه وطاعته طول محياهـــم

يصفون بالليل أقدامهـــم وعين المهيمن ترعاهـــم

فطوراً يناجونه سجـــداً ويبكون طوراً خطاياهـــم

إذا فكروا في الذي أسلفـوا أذاب القلوب وأبكاهـــم

وإن يسكن الخوف لاذوا بـه وباحوا إليه بشكواهـــم

وأصبحوا صياماً على جهدهم تبارك من هو قواهـــم

[ق/١٤] هم القوم أعطوا مليك الملـو ك صدق القلوب فوالاهـم

هم المحبون بنياتهـــم أرادوا رضاه فأعطاهـــم

وأسكنهم في فراديســه وأعلى المنازل بواهـــم

فنالوا المراد (ومازوا) (٢) بـه فطوبى لهم ثم طوباهـــم

قرأت بخط عبد الله بن أحمد بن صابر السلمي : أنشدنا أبو إسحاق إبراهيم ابن محمد بن عقيل الشهرزوري لبعضهم :

قليل العزاء كثير النـــدم طويل النحيب على ما اجتـرم

جرى دمعه فبكى جفنـــه فصار البكاء بدمـــع ودم

يخاف البيات بهجم الممــات وفقد الحياة بضر السقـــم

ويخفي محبة رب العلـــى فتظهر أنفاسه ما (كتـم) (٣)

وأسبل من طرفه عبـــرة على الصحن من خده فانسجم

---

(١) في المطبوع : « لمولاهم » .
(٢) في المطبوع : « وفازوا » .
(٣) في المطبوع : « ما اكتتم » .

وبات (يحارب محرابه) [1] ولما تزل قدم عن قـــــدم
فلما (تبت) [2] احشـــاؤه من الشوق (رق) [3] عليه الألم
وكم ليلة رام فيها المنـــــام فصاح به حبه لا تنـــــم
وناح على جسد ناحـــــل أطال النحول به فانهـــــدم
أناب إلى الله مستغفـــــراً فصار له من أعز الخـــــدم

* * *

(٤) في المطبوع : محارب محاريه » .
(٤) في المطبوع : « تفتتت » .
(٥) في المطبوع : « رقا » .

الباب الثامن
في شوق المحبين إلى لقاء رب العالمين

الشوق إلى لقاء الله درجة عالية رفيعة تنشأ من قوة المحبة لله ـ عز وجل ـ وقد كان النبي ﷺ يسأل الله هذه الدرجة .

خرج الإمام أحمد [(١)] وابن حبان في «صحيحه» [(٢)] ، والحاكم [(٣)] من حديث عمار بن ياسر « أن النبي ﷺ كان يدعو [ق/٤ب] بهذا الدعاء : **اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيراً لي ، وتوفني إذا علمت الوفاة خيراً لي ، اللهم إني أسألك خشيتك في الغيب والشهادة ، وكلمة الحق في الغضب والرضا ، والقصد في الفقر والغنى ، وأسألك نعيما لا ينفد ، وقرة عين لا تنقطع ، وأسألك الرضا بعد القضاء ، وبرد العيش بعد الموت ، وأسألك لذة النظر إلى وجهك ، والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ، ولا فتنة مضلة ، اللهم زينا بزينة الإيمان ، واجعلنا هداة مهتدين** » .

وخرج الطبراني [(٤)] نحوه من حديث فضالة بن عبيد عن النبي ﷺ ، وخرج الإمام أحمد [(٥)] والحاكم [(٦)] عن زيد بن ثابت « أن النبي ﷺ علمه دعاء وأمره أن يتعاهد به أهله كل يوم ،وفيه :

---

(١) (٤ / ٢٦٤) .
(٢) برقم (١٩٧١ - إحسان) .
(٣) (١ / ٥٢٤) وقال : هذا حديث صحيح ولم يخرجاه . وأخرجه النسائي (٣/ ٥٤ - ٥٥) .
(٤) في المعجم الكبير (١٨ / ٨٢٥) وقال الهيثمي (١٠ / ١٧٧) : رواه الطبراني في الكبير والأوسط ، ورجالهما ثقات.
(٥) (٥ / ١٩١)
(٦) (١ / ٥١٦ - ٥١٧) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .
وتعقبه الذهبي فقال : أبو بكر ضعيف ، فأين الصحة ؟! .

« اللهم إني أسألك الرضا (بالقدر) (١) وبرد العيش بعد الموت ، ولذة النظر (في) (٢) وجهك (وشوقًا) (٣) إلى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة».

وإنما قال : « من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة » والله أعلم ؛ لأن محبة لقاء الله وهو محبة الموت تصدر غالبًا إما من ضراء وهي ضراء الدنيا ، وقد نهى عن تمني الموت حينئذ ، وإما عن فتنة مضلة ، وهي خشية الفتنة في الدين ، وهو غير منهي عنه في هذه الحال .

والمسئول ها هنا الشوق إلى لقاء الله [غير] (٤) الناشئ عن هذين الأمرين ؛ بل عن محض المحبة ، وقد دل قوله تعالى في حق اليهود : ﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة:٩٤] على أن من كان على حالة حسنة من الاستعداد للقاء الله ؛ فإنه يتمنى لقاء الله ويحبه ، وأنه لا يكره ذلك إلا من هو مريب في أمره ، ولهذا قال : ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة:٩٥] ثم قال تعالى : ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ﴾ [البقرة:٩٦] فذمهم على حرصهم على الحياة الدنيا.

وفي مسند [ق/١٥] الإمام أحمد (٥) عن النبي ﷺ قال : « لا يتمنى الموت إلا من وثق بعمله »

وقد كان كثير من السلف الصالح يتمنون الموت شوقًا إلى [لقاء] (٦) الله ـ عز

---

(١) في المطبوع : « بعد القضا » .
(٢) في المطبوع : « إلى » .
(٣) في المطبوع : « والشوق » .
(٤) من المطبوع .
(٥) (٢ / ٣٥٠) .
وقال الهيثمي في المجمع (١٠ / ٢٠٦) : رواه أحمد وفيه ابن لهيعة ، وهو مدلس وفيه ضعف وقد وثق ، وبقية رجاله رجال الصحيح .
(٦) من المطبوع .

وجل ـ فكان أبو الدرداء يقول :

« أحب الموت اشتياقًا إلى ربي ، وأحب الفقر تواضعًا لربي ، وأحب المرض تكفيرًا لخطيئتي »[1] .

وقال محمد بن زياد : « اجتمع رجال من الأحبار ـ أو قال [من][2] العلماء العباد ـ وذكروا الموت ، فقال بعضهم : [لو][3] أتاني آت أو ملك الموت فقال: أيكم سبق إلى هذا العمود فوضع يده عليه لمات ؟ لرجوت أن لا يسبقني إليه أحد منكم شوقًا إلى لقاء الله - عز وجل » .

وقال عبد الله بن زكريا : « لو خيرت بين أن (أعمر)[4] مائة سنة في طاعة [الله][2] أو أقبض في يومي هذا أو في ساعتي هذه لاخترت أن أقبض في يومي هذا أو في ساعتي هذه شوقًا إلى الله ورسوله وإلى الصالحين من عباده».

وكان أبو عبد ربه الزاهد يقول « لو أنه قيل : من مس هذا العمود لمات ، لسرني أن أقوم إليه شوقًا إلى لقاء الله ورسوله » .

وقال أبو عتبة الخولاني : « كان إخوانكم لقاء الله أحب إليهم من الشهد ».

قال سفيان : « كان بالكوفة رجل متعبد من همدان ، فكان يقول : ما تطيب نفسي بالموت إلا إذا ذكرت لقاء الله - عز وجل - فإني أجد نفسي عند ذلك تطيب بالموت لما ترجو في لقاء الله - عز وجل - من البركة والسرور » .

وذكروا عنه أنه كان يقول : « إذا ذكرت القدوم على الله كنت أشد اشتياقًا إلى الموت من الظمآن الشديد ظمأه في اليوم الحار الشديد حره إلى الشراب البارد الشديد برده » .

وقال رياح القيسي[5] : « أتيت الأبرد بن ضرار فقال لي : يا رياح ، هل

---

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (١ / ٢١٧) .
(٢) من المطبوع .
(٣) في الأصل : « إنه » وما نقلته من المطبوع وهو الأنسب للسياق .
(٤) في المطبوع : أعيش .
(٥) راجع حلية الأولياء (٦ / ١٩٣) .

طالت بك الليالي والأيام ؟ فقلت له : بم ؟ قال : بالشوق إلى لقاء الله . قال : فسكت ، وأتيت رابعة فذكرت ذلك لها . قال : فسمعت تخريق قميصها من وراء ثوبها وهي تقول : لكني نعم »

وقال عبيد الله بن محمد التميمي : « سمعت امرأة من المتعبدات تقول : والله لقد سئمت من الحياة حتى لو وجدت الموت يباع لاشتريته [ق/٥ب] شوقًا إلى لقاء الله وحبًّا للقائه : قال فقلت لها : أفعلى ثقة أنت من عملك ؟ قالت : لا ولكن لحبي إياه وحسن ظني به ، أفَتَرَاهُ يعذبني وأنا أحبه ؟! » .

وقال سلمة العوصي : « إني لمشتاق إلى (الموت) [(١)] منذ أربعين سنة ؛ منذ فارقت الحسن بن صالح . قيل له : ولم ؟ قال : لو لم يشتق العامل إلا إلى (لقائه) [(٢)] عز وجل لكان ينبغي له أن يشتاق » .

« وكان أبو عبد الله النباحي يقول في مناجاته : إنك لتعلم أنك لو خيرتني بين أن تكون لي الدنيا منذ خلقت أتنعَّمُ فيها حلالا ولا أُسئَلُ عنها يوم القيامة ، وبين أن تخرجَ نفسي الساعة لا خترت أن تخرج نفسي الساعة . ثم قال : (أما)[(٣)] تحب أنك تلقى من تطيع ؟ » .

« وصحب رجل فتح بن شخرف ثلاثين سنة قال : فلم أره رفع رأسه إلى السماء إلا مرة [واحدة] [(٤)] رفع رأسه وفتح عينيه ونظر إلى السماء ثم قال : [قد][(٤)] طال شوقي إليك ؛ فعجل قدومي عليك » .

وقال فتح الموصلي في [يوم] [(٤)] عيد أضحى : « قد تقرب المتقربون بقربانهم ، وأنا أتقرب إليك بطول حزني يا محبوب ، لم تتركني في أزقة الدنيا محزونا ؟ » . ثم غشي عليه ، وحمل فدفن بعد ثلاث رحمه الله ـ تعالى » .

فهذا حال من غلب عليه الشوق والرجاء ، فأما من غلب عليه الخوف فإنه

---

(١) في المطبوع : « ربي » .
(٢) في المطبوع : « لقاء الله » .
(٣) في المطبوع : « الا » .
(٤) من المطبوع .

بخلاف ذلك ، ولا يتمنى الموت ؛ بل يستعظمه حتى يكاد يتصدع قلبه من ذكره .

وقد نازع أبو سليمان الداراني : من كان يتمنى الموت شوقًا إلى لقاء الله ، وخالفهم في ذلك وقال : لو أعلم أن الأمر كما تقولون لأحببت أن نفسي تخرج الساعة ، ولكن كيف بانقطاع الطاعة والحبس في البرزخ ؟ وإنما نلقاه بعد البعث».

وقال احمد بن أبي الحواري : « فهو في الدنيا أحرى أن نلقاه - يعني: بالذكر» .

فأبو سليمان وصاحبه أحمد بن أبي الحواري - رحمهما الله تعالى - يقولان : ما يجده العارفون المحبون في الدنيا من حلاوة الطاعة ولذة المعاملة واستنارة القلوب وتقربها من علام الغيوب أكمل مما يحصل لهم في البرزخ قبل البعث ، فإنه لا يمكن رؤية الله - تعالى - بالأبصار إلا في يوم القيامة .

وقد جاء في حديث : « **إن يوم القيامة أول** [ق/٦٦] **يوم نظرت فيه عين إلى الله - عز وجل** » .

وأما الأولون فإنهم يخالفون في ذلك ويقولون قد يحصل للمحبين في البرزخ اتصال وقرب من الله - سبحانه - ورؤية للأرواح ، فيكون ذلك أكمل من الحاصل لهم في الدنيا بالعمل ؛ كما أن نعيم البرزخ بالمخلوقات من الجنة أكمل من نعيم الدنيا أيضًا ، وقد قال النبي ﷺ : « **اعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا** »(١).

وهذا يدل بمفهومه على أن (رؤيته) (٢) سبحانه تحصل بعد الموت .

وقد روى في ذلك من المبشرات الأحلامية قديمًا وحديثًا ما يطول ذكره ؛ و [قد] (٣) اتفق العارفون كلهم على أن ما يحصل بعد البعث للعارفين المحبين أكمل

(١) أخرجه مسلم (٢٩٣١) بنحوه من حديث عمر بن ثابت الأنصاري ، عن بعض أصحاب النبي ﷺ .
وأخرجه أحمد (٥/ ٣٢٤) من حديث عبادة بن الصامت
وأخرجه ابن ماجه (٤٠٧٧) من حديث أبي أمامة الباهلي .
وأخرجه ابن أبي عاصم في « السنة » (٤٣١) من حديث معاوية .
(٢) في المطبوع : « رؤية الله » . (٣) من المطبوع .

مما يحصل لقلوبهم في الدنيا ؛ فإن غاية الحاصل [للقلوب] [(١)] في الدنيا هو تجلي أنوار الإيمان في القلب ، حتى يصير الغيب كأنه شهادة ، ومن قال : إن الأرواح والقلوب تكافح ذات الرب ـ سبحانه ـ في الدنيا عيانًا ، فهو غالط ، فإن هذا لم يثبت لأحد إلا للنبي ﷺ ليلة الإسراء ، كما ذكره الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وصنف بعضهم مصنفًا سماه « تفضيل العبادات على نعيم الجنات » وأشار إلى أن العبادات حق الرب ، وأن النعيم حظ النفس ، وكأنه ظن أن لا نعيم في الجنة إلا التمتع بالمخلوقات [فيها] [(١)] وهو غلط عظيم ، فإن أعلى نعيم الجنة ما يحصل فيها من معرفة الله ومشاهدته ، فإن علم اليقين يصير هناك عين اليقين ، وتتجدد معرفة عظيمة لم تكن موجودة قبل ذلك ؛ بل ولم تخطر على قلب بشر وكذلك توحيد أهل الجنة ودوام ذكرهم هو من أكمل لذاتهم ، ولذلك يلهمون التسبيح ، كما يلهمون النفس .

قال ابن عيينة : « لا إله إلا الله لأهل الجنة كالماء البارد لأهل الدنيا » وكذلك ترنمهم بالقرآن و (سماعه) [(٢)] وأعلاه سماعه من الله (عز وجل) [(٣)] فأين هذا من تلاوة أهل الدنيا وذكرهم ؟ وأما سائر العبادات فما كان منها فيه مشقة على الأبدان فإن أهل الجنة [ق/٦ب] قد أسقط ذلك عنهم ؛ وكذلك ما فيه نوع ذل وخضوع كالسجود ونحوه .

وأما ما في العبادات من النعيم الحاصل بها لأهل المعرفة في الدنيا ، فإنه يحصل لهم في الجنة أضعافا مع راحة (الجسد) [(٤)] من مشقة التكاليف التى في الدنيا ، فتجتمع لهم راحة القلب والبدن على أكمل الوجوه .

وهذا مثل الصلاة ، فإن العارفين في الدنيا إنما يتنعمون بما فيها من المناجاة وآثار القرب ، وما يرد عليهم من الواردات في تلاوة الكتاب ، ونحو ذلك من

(١) من المطبوع .
(٢) في المطبوع : « وسماعهم له » .
(٣) في المطبوع : « جل جلاله وتقدست أسماؤه » .
(٤) في المطبوع : « البدن » .

نعيم القلوب ، وربما يستغرقون [به] [1] عن الشعور بتعب الأبدان ، فهذا القدر الذي حصل لهم به التنعم في الدنيا يتزايد في الجنة بلا ريب ، لا سيما في أوقات الصلوات ؛ فإن أكملهم من ينظر إلى وجه الله - عز وجل - كل يوم مرتين، بكرة وعشية ، في وقت صلاة (الفجر) [2] وصلاة العصر ، كما جاء في حديث ابن عمر مرفوعًا [3] وموقوفًا ، وإلى ذلك أشار النبي ﷺ بالمحافظة على هاتين الصلاتين (عقب) [4] ذكره رؤية الرب - سبحانه - في حديث جرير البجلي[5] .

فالنعيم الحاصل لأهل الجنة بالرؤية والمخاطبة في هذين الوقتين أكمل مما كان حاصلا في الدنيا ، وكذلك صلاة الجمعة فإنهم يجتمعون في وقتها في يوم المزيد ويتجلى لهم سبحانه ويحاضرهم محاضرة .

وكذلك في العيدين ، فهذا أكمل مما [كان] [1] يحصل لهم في الدنيا في صلاتهم من آثار القرب وحلاوة المناجاة مع راحة البدن ونعيمه أيضًا .

فتبين بهذا أن نعيم الجنة أكمل من نعيم الدنيا مطلقًا ، وسواء في ذلك نعيم الأبدان بالأكل والشرب والجماع ونعيم [القلوب] [1] والأرواح بالمعارف والعلوم والقرب والاتصال والأنس والمشاهدة ، فظهر بهذا أن قوله تعالى : ﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا ﴾ [النمل:٨٩] هو على ظاهره من غير حاجة إلى تأويل ولا

---

(١) من المطبوع .

(٢) في المطبوع : « الصبح » .

(٣) رواه أحمد (٢ / ١٣ ، ٦٤) والترمذي (٢٦٧٧ ، ٣٣٨٦ - تحفة) وقال : هذا حديث غريب .

وقال الترمذي : وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن إسرائيل عن ثوير عن ابن عمر مرفوعًا ، ورواه عبد الملك بن أبجر عن ثوير عن ابن عمر موقوفًا . ورواه عبيد الله الأشجعي عن سفيان عن ثوير عن مجاهد عن ابن عمر قوله ولم يرفعه . وهو برقم (٢٦٧٨ تحفة) عند الترمذي .

(٤) في المطبوع : « عقيب » .

(٥) أخرجه البخاري (٥٥٤) ومسلم (٦٣٣)

تكلف ؛ فإن كثيراً من المفسرين [ق/١٧] فسروا الحسنة بكلمة التوحيد والجزاء عليها بالجنة ، ثم استشكلوا تفضيل الجنة على التوحيد ، وبما ذكرناه يزول الإشكال .

ويتبين أن التوحيد الذي في الجنة أكمل من التوحيد الذي في الدنيا وهو جزاء له ، وكذلك المعرفة والمحبة والشوق أيضًا ، فقد جاء في بعض أحاديث يوم المزيد[١] : « **أنهم ليسوا إلى شيء أشوق منهم إلى يوم الجمعة** » وشبيه بهذا الغلط الذي أشرنا إليه قول من قال : إن العارفين لا يشتاقون إلى الله - عز وجل - في الدنيا ؛ لأنهم يشهدونه بقلوبهم حاضراً ، وتباشر قلوبهم أنواره ويتجلى لها فيستأنسون به ويطمئنون إليه .

وهذا وإن كان نقل عن بعض السلف المتقدمين فهو أيضًا غلط ، ولعله صدر من قائله في حال استغراقه في مشاهدة ما شاهده ، فظن أنه ليس وراء ذلك مطلب ، وهذا كما قال بعضهم : «إنه تمر بي أوقات أقول : إن كان أهل الجنة في مثل ما أنا فيه إنهم لفي عيش طيب» .

ومعلوم أن أهل الجنة في أضعاف أضعاف ما هو فيه من النعيم واللذة ، ولكنه لما استعظم ما حصل له من النعيم ظن أنه ليس وراءه شيء ، وعند التحقيق يتبين أن ما حصل في الدنيا للقلوب من تجلي أنوار الإيمان يدل على عظمة ما يحصل في الجنة ، وليس بينهما نسبة فيتزايد بذلك الشوق إلى ما وراءه ، ولهذا «كان النبي ﷺ يسأل ربه الشوق إلى لقائه » [٢] مع أنه أكمل الخلق مشاهدة ومعرفة ، وكان يقول في الوصال : « **إني لست كهيئتكم ، إني أظل عند ربي**

---

(١) أخرجه البزار (٣٥١٩ - كشف) ولفظه : « ... فليسوا إلى شيء أحوج منهم إلى يوم الجمعة ؛ ليزدادوا فيه كرامة وليزدادوا فيه نظراً إلى وجهه - تبارك وتعالى - ولذلك دعي : يوم المزيد » .

قال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٤٢١ - ٤٢٢) : رواه البزار ، والطبراني في الأوسط بنحوه، وأبو يعلي باختصار ، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح ، وأحد إسنادي الطبراني رجاله رجال الصحيح غير عبد الواحد بن ثابت بن ثوبان ، وقد وثقه غير واحد وضعفه غيرهم ، وإسناد البزار فيه خلاف.

(٢) تقدم تخريجه .

يُطعمني ويسقيني »[1] .

ويشير إلى ما يتجلى لقلبه من آثار القُرْبِ والأُنْسِ مما يقويه ويغذيه ويغنيه عن الطعام والشراب .

كما قال القائل :

لها أحاديث من ذكراك تشغلُها عن (الطعام)[2] وتلهيها عن الزاد

ولم يزل أئمة العارفين يثبتون الشوق ويخبرون به عن أنفسهم .

قال عبد الواحد [ق/٧ب] بن زيد : « يا إخوتاه ، ألا تبكون شوقًا إلى الله - عز وجل - ؟ ألا إنه من بكى شوقًا إلى سيده لم يحرمه النظر إليه » .

وقال صالح المري : بلغني عن كعب أنه كان يقول : « من بكى اشتياقًا إلى الله ـ عز وجل ـ أباحه النظر إليه تبارك وتعالى » .

قال حبيب بن عبيد : « كان دليجة إذا مشي طاشت قدماه من العبادة ، فقيل له: ما شأنك ؟! قال : الشوق . فقيل له : أبشر ؛ فإن الأمير قد بعث إلى سرح المسلمين ليأذن لهم . فيقول :ليس شوقي إلى ذلك ، إن شوقي إلى من يحثها» .

وقال عثمان بن صخر العتكي : « طوبى لمحبي الرب الذين عبدوه بالفرح والسرور والأنس والطمأنينة ، فصاروا الصفوة من الخلق والخاصة من البرية ، يحنون إليه حنين الولهان ؛ ويشتاقون إليه شوق (من ليس له صبر)[3] عنه قد

---

(١) ورد هذا الحديث من رواية جمع من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ منهم :
أ ـ أبو هريرة ، رواه عنه البخاري (١٩٦٥، ١٩٦٦) وفي مواضع أخر ، ومسلم (١١٠٣).
ب ـ أنس ، رواه عنه البخاري (١٩٦١) ، ومسلم (١١٠٤) .
جـ ـ ابن عمر ، رواه عنه البخاري (١٩٢٢) وفي موضع آخر ، ومسلم (١١٠٢) .
د ـ عائشة ، رواه عنها البخاري (١٩٦٤) ومسلم (١١٠٥) .
هـ ـ أبو سعيد الخدري ، رواه عنه البخاري (١٩٦٣) وفي موضع آخر .
(٢) في المطبوع :« الشراب » .
(٣) في المطبوع وهامش الأصل : « من لا صبر لهم » .

كُسِروا بالخوف ، وروحوا بالظفر » .

« وكان أبو عبيدة الخواص يمشي في الأسواق ويضرب على صدره ويقول : واشوقاه إلى من يراني ولا أراه » .

« وكانت امرأة من المتعبدات بمكة لا تزال تصرخ وتقول : « أو ليس عجبًا أن أكون حية بين أظهركم وفي قلبي من الاشتياق إلى ربي مثل شعل النار التي لا تطفأ حتى أصير إلى الطبيب الذي (بيده) (١) برؤ دائي وشفائي » .

وقال ذو النون : « إن المؤمن إذا آمن بالله واستحكم إيمانه خاف الله ، فإذا خاف الله تولدت من الخوف هيبة الله ، فإذا سكنت درجة الهيبة دامت طاعته لربه، فإذا أطاع تولد من الطاعة الرجاء ، فإذا سكنت درجة الرجاء تولد من الرجاء المحبة ، فإذا استحكمت معاني المحبة في قلبه سكن بعدها درجة الشوق ، فإذا اشتاق أدّاه الشوق إلى الأنس بالله ، فإذا أنس بالله اطمأن إلى الله ، فإذا اطمأن إلى الله كان ليله في نعيم ، ونهاره في نعيم ، وسِرُّه في نعيم ، وعلانيته في نعيم » . انتهى .

ولا ريب أن الشوق يقتضي القلق ، لكن قد يمنح الله بعض أهله ما يسكن قلقهم من الأنس به [ق/١٨] والطمأنينة إليه ، كما أشار ذو النون ـ رحمه الله تعالى.

وعن إبراهيم بن أدهم قال : « قلت يومًا اللهم إن كنت أعطيت أحدًا من المحبين لك ما (سكنت) (٢) به قلوبهم قبل لقائك ، فأعطني ذلك فلقد أضر بي القلق . قال : فرأيته تبارك وتعالى في (المنام) (٣) فوقفني بين يديه وقال لي : «يا إبراهيم ، أما استحيت مني ؟ تسألني أن أعطيك ما (تُسَكِّن) (٤) به قلبك قبل

(١) في المطبوع :« عنده » .
(٢) في المطبوع :« أسكنت » .
(٣) في المطبوع : « النوم » .
(٤) في المطبوع :« يسكن » .

لقائي، وهل يسكن قلب المشتاق إلى غير حبيبه ؟ أم هل يستريح المحب إلى غير من (يشتاق) [1] إليه ؟ قال : فقلت : يا رب ، تهت في حبك ؛ فلم أدر ما أقول ».

وروى أبو نعيم بإسناده عن عبد العزيز بن محمد قال : « رأيت في المنام قائلا يقول : من يحضر ، من يحضر؟ » فأتيته فقال لي : أما ترى القائم الذي يخطب الناس ويخبرهم عن أعلى مراتب الأنبياء ؟ فأدركه لعلك تلحقه وتسمع كلامه قبل انصرافه . فأتيته فإذا الناس حوله وهو يقول :

ما نال عبدٌ من الرحمن منزلةً أعلى من الشوق إن الشوقَ محمودُ

ثم سلم ونزل ، (فقلت) [2] لرجل إلى جانبي : من هذا ؟ قال : أما تعرفه ؟! قلت لا. قال : هذا داود الطائي . فعجبت في منامي منه ، فقال : أتعجب مما رأيت ؟ والله (إن الذي) [3] عند الله من الزلفى لداود أكبر من هذا وأكثر.

ومما قيل في وصف المشتاقين :

أنَّ من الشوق فلولا دمعـــه أحرق مـــا بين العُذيب والنَّقَـا

واستعـــرت أنفاســـه وإنمـــا (تَلَهَّبُ) [4] الأنفاس من حَرِّ الجوى

مروا على وادي الغـضا فقلبُّوا من الجوى قلبي على جمـــر الغضا

* * *

---

(١) في المطبوع :« اشتاق » .

(٢) في الأصل : « قلت » وما نقلته من المطبوع .

(٣) في المطبوع : « للذي » .

(٤) في المطبوع : « تلتهب » .

الباب التاسع
في رضا المحبين بمر الأقدار
وتنعمهم ببلاء من يخلق ما يشاء ويختار

قد تقدم أن النبي ﷺ كان يقول في دعائه : « **اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء ، وبرد العيش بعد الموت ، ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك**»(١) .

[ق/ ٨ب] وخرج الترمذي (٢) من حديث أنس ، عن النبي ﷺ قال : « **إن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم ؛ فمن رضي فله الرضا ، ومن سخط فله السخط** » .

وروى جعفر بن برقان [عن ميمون بن مهران] (٣) عن يزيد بن الأصم ، عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال : « **نظر رسول الله ﷺ إلى مصعب بن عمير مقبلا وعليه إهاب كبش قد تَنَطَّقَ به ، فقال النبي ﷺ :انظروا إلى هذا الرجل الذي قد نوَّر الله قلبه ، لقد رأيته بين أبوين يغذيانه بأطيب الطعام والشراب؛ فدعاه حب الله ورسوله إلى ما ترون** » . خرجه الإسماعيلي في مسند عمر ، وأبو نعيم في الحلية (٤) . وقد روى من وجه آخر مرسلا .

وروى حسين بن علي الرحبي ـ وفيه ضعف ـ عن عكرمة ، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال : « **ما من عبد يحب الله ورسوله إلا كان الفقر أسرع إليه [من جرية السيل من رأس الجبل على وجهه ، والفقر أسرع إلى من يحب الله**

---

(١) تقدم تخريجه .

(٢) برقم (٢٣٩٦) وقال : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه .

(٣) سقطت من الأصل ، واستدركتها من الحلية (١/ ١٠٨) .

(٤) (١/ ١٠٨) من طريق جعفر بن برقان ، عن ميمون بن مهران ، عن يزيد بن الأصم، عن عمر بن الخطاب . . . فذكره .

ورسوله][1] من جرية السيل على وجهه ، ومن أحب الله ورسوله فليعد للبلاء تجفافًا . وإنما يعني الصبر .

وقد روى [معنى] [1] هذا الحديث من وجوه متعددة ولكن ليس في أكثرها سوى [ذكر] [1] حب الرسول ﷺ .

قال موسى بن وردان : « لما احتضر معاذ بن جبل وتغشاه الموت جعل يقول: اخنق خنقك ؛ فوعزتك إني أحبك » .

قال شهر بن حوشب ، عن عبد الرحمن بن غنم (عن) [2] الحارث بن عميرة : « أن معاذًا نزع نزعًا لم ينزعه أحد ، فكان كلما أفاق من (غمرة) [3] فتح طرفه ثم قال: اخنقني خنقك ؛ فوعزتك إنك تعلم أن قلبي يحبك » [4] .

وقال صالح بن حسان : « إن حذيفة لما نزل به الموت قال : هذه آخر ساعة من الدنيا ، اللهم إنك تعلم أني أحبك ؛ فبارك لي في لقائك » .

وقال أبو علي الرازي : « صحبت الفضيل بن عياض ثلاثين سنة (ما) [5] رأيته ضاحكًا ولا متبسمًا إلا يوم مات ابنه علي ، فقلت له في ذلك فقال : إن الله أحب أمرًا فأحببت ما أحب الله » .

وقال مردويه سمعت الفضيل [ق/ ١٩] يقول: « درجة الرضا عن الله درجة المقربين ليس بينهم وبين الله إلا روح وريحان » قال : وسمعته يقول : « أحق الناس بالرضا عن الله أهل المعرفة بالله » .

وقال أبو عبد الله النباحي : « سأل رجلٌ الفضيل بن عياض فقال : متى يبلغ الرجل غايته من حب الله (تعالى) [1] ؟ فقال له الفضيل : إذا كان عطاؤه ومنعه

---

(١) سقطت من « الأصل » والمثبت من المطبوع .

(٢) في المطبوع : « من حديث » .

(٣) في المطبوع : « غمرته » .

(٤) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (١/ ٢٤٠) من حديث الحارث بن عميرة ، وفي إسناده : شهر بن حوشب ، وهو ضعيف .

(٥) في المطبوع : « فما » .

إياك عندك سواء فقد بلغت الغاية من حب الله » .

وذكر أبو القاسم الدمشقي الحافظ في « تاريخه » بإسنادٍ عن أبي شعيب قال: « سألت إبراهيم بن أدهم الصحبة إلى مكة قال : على شريطة : على أنك لا تنظر إلا لله وبالله فشرطت له ذلك على نفسي ، فخرجت معه فبينما نحن في الطواف فإذا أنا بغلام قد افتتن الناس به وبحسنه وماله ، فجعل إبراهيم يديم النظر إليه ، فلما أطال ذلك قلت : يا أبا إسحاق ، أليس شرطت عليّ أنك لا تنظر إلا لله وبالله ؟! قال : بلى . قلت : (إني) [1] أراك تديم النظر إلى هذا الغلام ! فقال : إن هذا ابني وولدي ، وهؤلاء غلماني وخدمي الذين معه ، ولولا شيء لقَبَّلتُه ولكن انطلق فسلم عليه مني. قال : فمضيت إليه وسلمت عليه من والده، فجاء إلى والده فسلم عليه ثم صرفه مع الخدم . فقال : ارجع انتظر (أيش) [2] يراد بك . ثم أنشأ يقول :

هجرت الخلق طُرًّا في هواكا   وأيتمتُ العيالَ لكي أراكا
فلو قطعتني في الحبِّ إربًا   لما حَنَّ الفُؤادُ إلى سواكا

وروى ابن أبي الدنيا بإسناده عن عبد الواحد بن زيد قال : « خرجت إلى ناحية الحربية ، فإذا إنسان أسود مجذوم قد تقطعت كل جارحة له بالجذام ، وعمي وأقعد ، وإذا صبيان يرمونه بالحجارة حتى دموا وجهه [ورأسه] [3] فرأيته يحرك شفتيه ، فدنوت منه لأسمع ما يقول ، فإذا هو يقول : يا سيدي [إنك لتعلم][3] أنك لو قرضت لحمي بالمقاريض ونشرت عظمي بالمناشير [ق/٩ب] ما ازددت لك إلا حبًا ؛ فاصنع بي ما شئت ! » .

وعن الأوزاعي قال : « حدثني بعض الحكماء قال : رأيت رجلا [قد] [3] ذهبت يداه ورجلاه وهو يقول : اللهم إني أحمدك حمداً يوافي محامد خلقك كفضلك على سائر خلقك ، إذ فضلتني على كثير ممن خلقت تفضيلا ! فقلت له:

---

(١) في المطبوع : « فإني » .
(٢) في المطبوع : « أي شيء » .   (٣) من المطبوع .

على أي نعمة تحمد ؟ ! فقال : « أليس ترى ما قد صنع بي ، قال : قلت : بلى. قال : فو الله لو أن الله صب عليّ [من] [1] السماء ناراً فأحرقتني ، وأمر الجبال فدمرتني ، وأمر البحار فغرقتني ، وأمر الأرض فخسفت بي ما ازددت له إلا حبًّا ، ولا ازددت له إلا شكراً » .

وعن بكر بن خُنَيْس قال : « مررت بمجذوم وهو يقول: وعزتك وجلالك ، لو قطعتني بالبلاء قطعًا ما ازددت لك إلا حبًّا » .

وفي هذا المعنى يقول بعضهم :

لو قطعني الغرامُ إربًا إربًا ما ازددت على الملام إلا حبًّا

لا زلت بكم أسير وجدٍ صبا حتى أقضي على هواكم نحبًا

وروى أبو العباس بن مسروق بإسناده عن خلف البزار « أنه أتي بمجذوم ذاهب اليدين والرجلين أعمى ، فجعله مع المجذومين وغفل عنه ، ثم ذكره فقال له : يا هذا ، غفلت عنك ! فقال : حبيبي ومن أنا أحبه قد أحاطت محبته بأحشائي ؛ فلا أجد لما أنا فيه من ألم مع محبته لا يغفل عني . فقلت له : إني نسيتك . قال: « إن لي من يذكرني ، وكيف لا يذكر الحبيب حبيبه وهو نصب عينيه تائه العقل واللب ؟! » .

وذكر أبو عبد الرحمن السلمي بإسناده عن بنان [الحمال] [1] قال : « ليس يتحقق (في الحب) [2] حتى يتلذذ بالبلاء في الحب كما يتلذذ (الأغيار) [3] بأسباب النعم » .

وكان عبد الصمد الزاهد يقول : « أوجدهم في تعذيبه عذوبة - يشير إلى صبرهم على الضر والفقر » .

وقالت امرأة من العارفات : « ما النعيم إلا الأنس بالله والموافقة لتدبيره » .

---

(١) من المطبوع .

(٢) كتب في هامش الأصل : « لعله العبد » .

(٣) في المطبوع : « الأغنياء » .

وشكا رجل إلى فضيل الفقر ، فقال فضيل : « أمدبّراً غير الله تريد ؟ ! » .

وقالت رابعة : « إن أولياء [ق/١١٠] الله إذا قضى لهم شيئًا لم (يتسخطوه)[١]» .

وقال يحيى بن معاذ : « لو أحببت ربك ثم جوعك وأعراك لكان يجب أن تحتمله وتكتمه عن الخلق ، فقد يحتمل (الحبيب) [٢] لحبيبه الأذى ، فكيف وأنت تشكوه فيما لم يصنعه بك » .

وفي هذا المعنى يقول القائل :

ويقبح من سواك الفعلُ عندي   وتفعله فيحسنُ منك ذاكا

وقد تقدم ما أنشده أبو تراب النخشبي :

لا تُخدعن فللمحب دلائل   ولديه مِن تحفِ الحبيبِ وسائلُ

منها تنعمه بمر بلائِه   وسُرورُه في كلّ ما هو فاعل

فالمنع منه عطيةٌ مقبولةٌ   والفقر إكرام وبر عاجل

كان فتح الموصلي : يجمع عياله (في) [٣] ليالي الشتاء ويضم كسائه عليهم ثم يقول : « اللهم أفقرتني وأفقرت عيالي وجوعتني وجوعت عيالي وأعريتني وأعريت عيالي ، بأي وسيلة توسلتها إليك ، وإنما تفعل هذا بأوليائك وأحبابك ، فهل أنا منهم حتى أفرح . ودخل ليلة إلى أهله وهو صائم فلم يجد عندهم عشاءً ، ولا ما يسرجون به فجلس يبكي من الفرح ويقول : « إلهي مثلي يترك بلا عشاء ولا سراج بأي يد كانت مني . فما زال يبكي إلى الصباح » .

ويروى عن الفضيل بن عياض نحو هذا أيضًا .

« وكان علي بن بابويه الصوفي في الطواف (فهجم) [٤] القرامطة على

---

(١) في المطبوع : « يسخطوه » .

(٢) في المطبوع : « المحب » .

(٣) من المطبوع .

(٤) في المطبوع : « هجمت » .

الناس فقتولهم فأخذته السيوف ، فلما وقع تمثل بهذا البيت :

ترى المحبين صرعى في ديارهم   كفتية الكهف لا يدرون كم لبثوا

« واستشهد لبعض السلف ولد في الجهاد ، فجاء الناس يعزونه فيه فبكى وقال : ما أبكي على موته ، إنما أبكي كيف كان رضاه عن الله حين أخذته السيوف » :

وفي هذا يقول القائل :

إن كان سكان الغضا   رضوا بقتلي فرضا

والله لا كنت لما   يهوى الحبيبُ مُبغضا

[ق/ ١٠ب] صرت لهم عبدًا وما   للعبدِ أن يعترضا

* * *

فصل

[« انكسار قلوبهم بحب ربهم »] (١)

ومما يستحليه المحبون لله ـ عز وجل ـ اختيارهم الذل له على الشرف ، والخمول على الشهرة .

قال مخلد بن الحسين : « ما أحبَّ اللهَ عَبْدٌ فأحب أن يعرف الناس مكانه» .

وقال أحمد بن أبي الحواري : « من عبد الله على المحبة لا يحب أن يرى خدمته سوى محبوبه » .

وقال ذو النون : « كل مطيع مستأنس ، وكل عاص مستوحش ، وكل محب ذليل ، وكل خائف هارب ، وكل راج طالب » .

وكان بشر يقول في دعائه : « اللهم إنك تعلم أن الذل أحب إلي من العز، وأن الفقر أحب إلي من الغنى ، وأني لا أوثر على حبك شيئًا . فسمعه رجل فأخذه البكاء ، فقال : [اللهم] (٢) أنت تعلم أني لو علمت أن هذا ها هنا لم أتكلم » .

وسئل يوسف بن الحسين : « ما بال المحبين يتلذذون بالذل في المحبة ؟ ! فأنشأ يقول :

ذُلُّ الفتى في الحبِّ مكرمةٌ   وخضوعه لحبيبه شرفُ

وفي هذا المعنى يقول القائل :

مساكين أهل الحبِّ حتى قبورهم   عليها ترابُ الذلِّ بين المقابر

---

(١) هذا العنوان ليس في الأصل ، وهو من تصرف محقق المطبوع .

(٢) من المطبوع .

ويقول الآخر :

العزُّ ذُلي فلا تَلُمْنِي ... ما ينبغي يا عذولي مني

قال جعفر بن سليمان : عن مالك بن دينار ، قال موسى ـ عليه السلام ـ : « إلهي أين أبغيك ؟ فأوحى الله إليه يا موسى ابغني عند المنكسرة قلوبهم من أجلي ، فإني أدنو منهم في كل يوم وليلة باعًا ، ولولا ذلك لا نهدموا » (١) .

قال جعفر : « فقلت لمالك : كيف المنكسرة قلوبهم ؟ فقال : سألت الذي قرأ في (الكتاب)(٢) فقال : سألت الذي سأل عبد الله بن سلام عن المنكسرة قلوبهم ما يعني ؟ قال: المنكسرة قلوبهم بحب الله (جل جلاله) (٣) عن حب غيره » .

خرجه إبراهيم بن الجنيد.

* * *

(١) أخرجه أحمد في الزهد ص (٩٥) ، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٣٦٤) وفي إسناده انقطاع كما هو معروف بين مالك وموسى ـ عليه السلام .

(٢) في المطبوعة : « الكتب » .

(٣) من المطبوع .

[ق/١١١] # الباب العاشر
في ذكر خوف المحبين العارفين
وفضله على خوف سائر الخائفين

قال الله - تعالى - في حق الفجار : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾ [المطففين : ١٤- ١٧] فوصفهم بأن كسبهم ران على قلوبهم ، والران هو ما يعلو [على] [1] القلب من الذنوب من ظلمة المعاصي وقسوتها ، ثم ذكر جزاءهم على ذلك ، وهو ثلاثة أنواع : الحجاب عن ربهم ، ثم صلي الجحيم، ثم التوبيخ .

فأعظم عذاب أهل النار حجابهم عن ربهم - عز وجل - ، ولما كانت قلوبهم في الدنيا مظلمة قاسية ، لا يصل إليها شيء من نور الإيمان وحقائق العرفان كان جزاؤهم على ذلك في الآخرة حجابهم عن رؤية الرحمن .

قال بعض العارفين : « من عرف الله في الدنيا ، عرفه بقدر تعرفه إليه ، وتجلى له في الآخرة بقدر معرفته إياه في الدنيا ، فرآه في الدنيا رؤية الأسرار ، ويراه في الآخرة رؤية الأبصار ؛ فمن لا يراه في الدنيا بسره ، لا يراه في الآخرة بعينه » انتهى .

فخوف العارفين في الدنيا من احتجابه عن بصائرهم ، وفي الآخرة من احتجابه عن أبصارهم ونواظرهم .

وكتب الأوزاعي إلى أخ له : « أما بعد ؛ فإنه [قد] [1] أحيط بك من كل

(١) من المطبوع .

جانب، واعلم أنه يسار بك في كل يوم وليلة ، فاحذر الله والمقام بين يديه ، وأن يكون آخر عهدك به ، والسلام » .

وكان عتبة الغلام يبكي بالليل ويقول : « قطع ذكر العرض على الله أوصالَ المحبين . ثم يحشرج البكاء حشرجة الموت ويقول : تراك يا مولاي تعذب (محبيك) [1] وأنت الحي الكريم . وبات ليلة بالساحل قائمًا يردد هذه الكلمات لا يزيد عليها ويبكي حتى أصبح : إن تعذبني فإني لك مُحبٌّ ، وإن ترحمني فإني لك محبٌّ ! » .

وكان كهمس يقول في الليل : « أتراك تعذبني وأنت قرة عيني يا حبيب قلباه؟! ».

وكان أبو سليمان [يبكي] [2] ويقول : « لئن طالبني بذنوبي لأطالبنه بعفوه، ولئن طالبني ببخلي لأطالبنه بجوده ، ولئن أدخلني النار ، لأخبرن أهل النار أني كنت [ق/١١ب] أحبه » .

وأخذ هذا المعنى بعض [الشعراء] [2] المتأخرين فقال :

وحقك لو أدخلتني النار قلت للـ ذين بها قد كنتُ ممن (أحبه)[3]
وآيةُ حبٍّ الصبِّ أن يَعْذُبَ الأسى إذا كان من يهوى عليهم (يصيبه)[4]

كان بعض المحبين عند قوم يبكون من الخوف ، فأنشد :

كلهم يعبدون من خوف نار ويرون النجاة فضلا جزيلا
أو بأن يسكنوا الجنان فيعطوا روضة من رياضها سلسبيلا
ليس لي في الجنان والنار رأيٌ أنا لا أبتغي بحبي بديلا

---

(١) في المطبوع «: محبك » .
(٢) من المطبوع .
(٣) في المطبوع : « يحبه » .
(٤) في المطبوع : « يَصبُّه » .

فقيل له : لو طردوك ، ما كنت تصنع ؟ فقال :

أنا إن لم أجد من الحب وصلا   رُمتُ في النار منزلا ومقيلا
ثم أرعجت أهلها بندائي   بكرةً في عراصها وأصيلا
معشر المشركين نوحوا على من   يدعي أنه يحبُّ الجليلا
لم يكن في الذي ادّعاه محقًا   فجزاه به العذاب الطويلا

وقد سبق قول رقية الموصلية : « إلهي وسيدي ومولاي ، لو أنك عذبتني بعذابك كله ، كان ما فاتني من قربك أعظم عندي من العذاب » .

وقال ذو النون : « خوف النار عند خوف الفراق كقطرة في بحر لجي » .

وكان الشبلي يهيج في داره وينشد :

على بعدك لا يصبـــــر   مـــن عـــــادته القــــرب
ولا يقوى على حجبـــــك   مـــن تـــيَّمَه الحـــب
فإن لم ترك العـــــين   فـقد يبصـــرك القـــلب

* * *

فصل

[« الحياء والخوف من الله » (*)]

ومما يخافه العارفون فوات الرضا عنهم ، وإن وجد العفو وترك [ق/١١٢] العقوبة [فإن] (١) الرضا أحب إليهم من نعيم الجنة كله مع الإعراض وعدم التقريب والزلفى .

وقد قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة:٧٢] يعني : أكبر من نعيم الجنة .

وفي الصحيح(٢) عن النبي ﷺ [قال] (١) : « **إن الله يقول لأهل الجنة : ألا أعطيكم أفضل من ذلك ؟ قالوا : وما أفضل من ذلك ؟ ! قال : أُحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً** » .

وكان مطرف يقول : « اللهم ارض عنا ؛ فإن لم ترض عنا فاعف عنا » .

ورئي بعضهم في المنام فسئل عن حاله فقال : « غفر لي وأعرض عني وعن جماعة من أهل العلم لم يعملوا بعلمهم » .

فالمحبون العارفون يخافون من مثل هذه الحال ، وإنما يسألون الرضا من أول الأمر .

قال الفضيل : « من سأل الله رضوانه فقد سأله عظيمًا . وقال : لو أخبرت عن جبريل [وميكائيل] (٣) وإسرافيل بشدة (اجتهاد) (٤) ما عجبت ، وكان ذلك قليلا عند ما يطلبون (أتدري) (٥) اي شيء يطلبون ؟ وأي شيء يريدون ؟

(*) هذا العنوان ليس في الأصل وهو من تصرف محقق المطبوع .
(١) من المطبوع .
(٢) أخرجه البخاري (٦٥٤٩) ، ومسلم (٢٨٢٩) .
(٣) من المطبوع . (٤) في المطبوع : « اجتهادهم » . (٣) في المطبوع : « أتدرون » .

يريدون رضا ربهم - عز وجل » .

وقال جعفر بن سليمان : قال مالك بن دينار « وددت أن الله - تعالى - إذا جمع الخلائق يوم القيامة يقول لي : يا مالك ، فأقول : لبيك ، فيأذن لي أن أسجد بين يديه سجدة ، فأعرف أنه قد رضي عني ، فيقول : يا مالك ، كن اليوم ترابًا » .

وكان أبو عُبَيد البُسْرى يقول : « ما غمي ولا أسفي إلا أن يجعلني ممن عفي عنه . فقيل له : [أليس] (1) الخلق على العفو يتذابحوا ؟ فقال :أجل ، ولكن اي شيء أقبح بشيخ مثلي يوقف غدًا بين يدي الله - عز وجل - فيقال له : شيخُ سوءٍ كنت ؛ اذهب فقد عفوت عنك ، أنا أملي في الله أن يهب لي كل من أحبني».

ومما يشتد قلق العارفين منه الحياء من الله - عز وجل - عند الوقوف بين يديه.

قال بعضهم : ما يمر بي أشد من الحياء من الله - عز وجل .

وقال الحسن : « لو لم نبك إلا من الحياء من ذلك المقام ؛ لكان ينبغي لنا أن نبكي فنطيل البكاء » .

وكان الفضيل يقول : « واسوءتاه منك وإن [ق/١٢ب] عفوت » .

وقال أحمد بن أبي الحواري : سمعت محمد بن حاتم أبا جعفر يقول : قال الفضيل بن عياض : « لو خيرت بين أن أبعث فأدخل الجنة وبين أن لا أبعث اخترت أن لا أبعث . قال : فقلت لمحمد : هذا من الحياء ؟ قال : نعم » . وقال أحمد [بن أبي الحواري] (2) : وسمعت مُضَاء بن عيسى يقول :

كان بعض التابعين يقول : « لئن يؤمر بي من (الجنة) (3) إلى النار أحب

---

(1) من المطبوع .

(2) من المطبوع .

(3) كتب في هامش الأصل : « لعله القبر » .

إليّ من أن أقف بين يديه فيسألني ثم يأمر بي إلى الجنة » قال : فحدثت به أبا سليمان فقال : بل نقف بالموقف فتقر به أعيننا » .

وإلى قول أبي سليمان ذهب أبو يزيد وغيره من المحبين ، وإلى قول الفضيل ذهب حذيفة المرعشي ؛ فإنه قال : « لو نزل عليّ ملك من السماء يخبرني أن لا أرى النار بعيني وأني أصير إلى الجنة ، إلا أني أقف بين يدي ربي ، ثم أصير إلى الجنة . فقلت : لا أريد الجنة ولا أقف ذلك الموقف » .

وروي عن أحمد بن أبي الحواري معنى ذلك أيضًا .

وروي أن الأسود بن يزيد لما احتضر بكى : فقيل له : ما هذا الجزع ؟ قال : « ما لي لا أجزع ومن أحق بذلك مني ، والله لو أتيت بالمغفرة من الله ـ عز وجل ـ لأهمني الحياء منه مما قد صنعت ، إن الرجل ليكون بينه وبين الرجل الذنب الصغير فيعفو عنه ، فلا يزال مستحيًا منه » .

قال ابن أبي الدنيا : حدثني حسين بن عبد العزيز قال : « كان عندنا شيخ على أمور ثم أقلع عنها ، فلما احتضر أغمي عليه ثم أفاق ، فقال : إن رأيت كأني ميت، وكأن آتيًا أتاني فانطلق بي إلى الله ـ عز وجل ـ حتى وقف بي دون الحجاب ، فكأنه أرادني على الدخول فتداخلني الحياء والخوف ، وكأنه يقول : ما هو إلا الدخول عليه ـ عز وجل ـ أو دخول النار . قال : فكأني اخترت دخول النار للذي أصابني من الحياء . قال : فانطلق بي ثم إنه عرج بي وقيل له : انطلق به إلى الجنة » .

وروي عن أبي حامد الخلقاني : « أنه أنشدَ الإمامَ أحمد هذين البيتين :

[ق/ ١١٣] إذا ما قال لي ربي أما استحييت تعصيني

وتخفي الذنب من خلقي وبالعصيان تأتيني

فأمره أحمد بإعادتهما عليه ، فأعادهما [عليه] (١) فدخل أحمد داره وجعل

(١) من المطبوع .

يرددهما ويبكي » .

وأنشد بعضهم :

يا حسرة العاصين عند معادهم هذا وإن قدموا على الجنات
لو لم يكن إلا الحياء من الذي ستر القبيح (لأعظموا)[1] الحسرات

* * *

---

(1) في المطبوع : « لكان أعظم » .

الباب الحادي عشر
في شرف أهل الحب وأن لهم عند الله أعلى منازل القرب

في الصحيحين (1) عن أنس «أن رجلا سأل النبي ﷺ فقال : متَى الساعة يا رسول الله ؟ فقال : ما أعددت لها ؟ قال : ما أعددت لها من (كثير) (*) صلاة ولا صيام ولا صدقة ، ولكني أحب الله ورسوله . فقال رسول الله ﷺ : فأنت مع من أحببت » .

وفي رواية للبخاري (2) : « فقلنا : ونحن كذلك ؟ قال : نعم » [قال أنس] (**) ففرحنا يومئذ فرحًا شديدًا .

وفي رواية لمسلم (3) : « قال أنس فما فرحنا بعد الإسلام فرحًا أشد من قوله: « أنت مع من أحببت » قال أنس : «فأنا أحب الله ـ عز وجل ـ ورسوله ﷺ وأبا بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ وأرجو أن أكون معهم وإن لم أعمل بأعمالهم » .

قال بعض العارفين : « يكفي (المحبين) (***) شرفًا هذه المعية » .

وقد قدمنا في أول [هذا] (**) الكتاب أن محبة الله الواجبة تستلزم امتثال طاعته واجتناب معصيته، وكذلك محبة الرسول ﷺ وأصحابه والتابعين لهم

---

(1) أخرجه البخاري (٦١٧١) ، ومسلم (٢٦٣٩) .

(*) في المطبوع : « كبير » . (2) برقم (٦١٦٧) .

(**) من المطبوع .

(3) برقم (٢٦٣٩/ ١٦٣) وكذا البخاري (٣٦٨٨) .

(***) في المطبوع : « للمحبين » .

بإحسان .

فالمحبة الصحيحة [لهم] (*) تقتضي مشاركتهم في أصل عملهم ، وإن عجز عن بلوغ غايته . كما قال أنس - رضي الله عنه - : ولهذا قال السائل للنبي ﷺ « ما أعددت لها (كثير) (١) صلاة ولا صيام ولا صدقة » فدل على أنه قد [ق/١٣ب] أتى من ذلك بما وجب عليه [و] (٢) لم يات بأزيد من ذلك .

قال عبيد بن عمير : « جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، الرجل يحب المصلين ولا يصلي إلا قليلا ، ويحب الصائمين ولا يصوم إلا قليلا، ويحب الذاكرين ولا يذكر إلا قليلا ، ويحب المتصدقين ولا يتصدق إلا قليلا ، ويحب المجاهدين ولا يجاهد إلا قليلا ، وهو في ذلك يحب الله ورسوله ؟ قال : **هو يوم القيامة مع من أحب** » .

وقال أبو سالم (الجيشاني) (٣) : جِاء رجلِ إلى النبي ﷺ فقال : « يا رسول الله ، إني أرى الرجل الجواد فأحب الجود وفيّ بخل ، وأرى الرجل الحسن الخلق فأحب حسن الخلق (وفي خلقي شيء) (٤) وأرى الرجل الجريء فأحب الجراءة وفيَّ جبن ؟ قال : **أنت مع من أحببت** » .

قال الحسن : « ابن آدم لا تغتر بقول من يقول المرء مع من أحب ، إنه من أحب قومًا اتبع آثارهم ، ولن تلحق بالأبرار حتى تتبع آثارهم وتأخذ بهديهم وتقتدي بِسُنَّتِهم وتُصبحَ وتمسي وأنت على منهاجهم ، حريصًا على أن تكون منهم فتسلك سبيلهم وتأخذ طريقهم ، وإن كنت مقصراً في العمل ، فإنما ملاك الأمر أن تكون على استقامة ، أما رأيت اليهود والنصارى وأهل الأهواء المردية يحبون

(*) من المطبوع ووقع في المخطوط : « لا » .
(١) في المطبوع : « من كبير » .
(٢) من المطبوع .
(٣) في المطبوع : « الجوشاني » .
(٤) في المطبوع : « وخلقي سيئ » .

أنبياءهم وليسوا معهم ؛ لأنهم خالفوهم في القول والعمل (وسلكوا) [1] غير طريقهم ، فصار موردهم النار ، نعوذ بالله من ذلك » .

وفي « مسند البزار» [2] من حديث أبي سعيد ، عن النبي ﷺ قال : « **إني لأعرف ناسًا ما هم بأنبياء ، ولا شهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء [بمنزلتهم عند الله ـ سبحانه ـ]** [3] **يوم القيامة ، الذين يحبون الله ويحببونه إلى خلقه ، يأمرونهم بطاعة الله ، فإذا أطاعوا الله أحبهم الله** » .

وخرج إبراهيم بن الجنيد نحوه من حديث أنس مرفوعًا .

قال زيد بن أسلم : « لما وُضع عثمان بن مظعون في قبره قالت امرأته هنيئًا لك أبا السائب الجنة ، فقال رسول الله ﷺ : **وما علمك بذلك ؟! قالت** : كان يا رسول الله يصوم النهار (ويقوم) [4] [ق/١١٤] الليل . قال :(بِحَسْبُكِ)[5] لو قلت : كان يحب الله ورسوله » [6] .

وقال عتبة الغلام : « من عرف الله أحبه ؛ ومن أحب الله أطاعه ، ومن (أطاع الله) [7] أكرمه ، ومن أكرمه الله أسكنه في جواره ، ومن أسكنه في جواره فطوباه وطوباه وطوباه . . . ؟ فلم يزل يقول : وطوباه وطوباه . . . حتى خر ساقطًا مغشيًا عليه » .

وقال فرقد السبخي : قرأت في بعض الكتب : « المحب لله ـ تعالى ـ أمير مؤمر على الأمراء ، زمرته أول الزمر يوم القيامة ، ومجلسه أقرب المجالس فيما

---

(١) في المطبوع : « وسلوك » .

(٢) برقم (١٤٠ ـ زوائد) قال البزار : لم يتابع سعيد . وقال الهيثمي في المجمع (١/ ١٢٦) : رواه البزار ، وفيه سعيد بن سلام العطار ، وهو كذاب .

(٣) من المطبوع .

(٤) في المطبوع : « ويصلي » .

(٥) في المطبوع : « فحسبك » .

(٦) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ١٠٦) وهو مرسل .

(٧) في المطبوع : « أطاعه » .

هنالك » . خرجهما [إبراهيم] [1] بن الجنيد .

وخرج ابن أبي الدنيا بإسناده عن عبد الله بن عبد الرحمن قال : قال أرميا [عليه السلام] [1] : أي رب ، أي عبادك أحب إليك ؟ قال : أكثرهم لي ذكراً ، الذين يشتغلون بذكري عن ذكر الخلائق ، الذين لا تعرض لهم وساوس (العباد)[2]، ولا يحدثون أنفسهم بالبقاء، الذين إذا عرض لهم عيش الدنيا قلوه ، وإذا زوي عنهم سروا بذلك (أولئك الذين) [3] أبحت لهم محبتي وأعطيتهم فوق (غاياتي) [4] » .

وقال أحمد بن أبي الحواري : حدثنا رباح ، حدثنا عبد الله بن سليمان ، حدثنا موسى بن أبي الصباح « في قول الله ـ عز وجل ـ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة:٢٤٣] قال :إذا كان يوم القيامة يؤتى بأهل ولاية الله يقومون بين يدي الله ـ عز وجل ـ ثلاثة أصناف :

فيؤتى برجل من الصنف الأول فيقول : عبدي ، لماذا عملت ؟ فيقول : يا رب خلقت الجنة وأشجارها وثمارها وأنهارها وحورها ونعيمها وما أعددت لأهل طاعتك فيها ، فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري شوقًا إليها ! فيقول الله ـ تعالى ـ : عبدي ، إنما عملت للجنة ، هذه الجنة فادخلها ، ومن فضلي عليك أن أعتقك من النار . قال : فيدخل هو ومن معه الجنة .

قال : ثم يؤتى برجل من الصنف الثاني فيقول : عبدي ، لماذا عملت ؟ فيقول: يا رب ، خلقت نارًا وخلقت سلاسلها وأغلالها وسعيرها وسمومها ويحمومها ، وما أعددت لأعدائك وأهل معصيتك فيها ، فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري خوفًا منها ! فيقول (الله)[1]: عبدي ، إنما عملت ذلك خوفًا من النار

---

(١) من المطبوع .

(٢) كتب في هامش الأصل : « لعله الصدور » .

(٣) في المطبوع : «فأولئك » .

(٤) في المطبوع : « غاياتهم » .

[ق/١٤ب] فإني أعتقتك من النار ، ومن فضلي عليك أن أدخلك (جنتي) (١) فيدخل هو ومن معه الجنة.

قال : ثم يؤتى برجل من الصنف الثالث فيقول : عبدي ، لماذا عملت ؟ فيقول: عملت حبًّا لك وشوقًا إليك ، وعزتك [وجلالك] (٢) لقد أسهرت ليلي وأظمأت نهاري شوقًا إليك وحبًّا (لك) (٣) فيقول تبارك وتعالى : عبدي ، إنما عملت (حبًّا لي وشوقًا إليَّ) (٤) فيتجلى له الرب (جل جلاله ويقول) (٥) : ها أنا ذا، انظر إليَّ . ثم يقول من فضلي عليك أن أعتقك من النار (وأمنحك)(٦) الجنة وأزيرك ملائكتي وأسلم عليك بنفسي ، فيدخل هو ومن معه الجنة » .

خرجه ابن أبي حاتم في تفسيره .

وخرج ابن أبي الدنيا في « كتاب الجوع » من طريق إسحاق بن نوح بن عبد الله الشامي ، عن أبيه ، عن جده قال : قال عبد الله بن سلام : « يكون في آخر الزمان (قوم) (٧) خلت أنفسهم من لذة الدنيا وشهواتها ، تكاد أنوارهم تلحق بأنوار الأنبياء يوم القيامة كلما نظر إليهم أهل ذلك الموقف والجمع العظيم كادت أبصارهم تذهب من النور الذي بوجوههم . قيل : بم بلغوا ذلك ؟ ! قال : بحبهم الله واتباع مسرته. جوعوا له أنفسهم ليقيها من الجوع يوم الجوع الأكبر ، وأظمئوا له أنفسهم لينالوا حلاوة الري من فضله يوم العطش الأكبر ، وأهملوا له العيون رجاء أن ينير لهم غداً في (ظلمة) (٨) القيامة وأهوالها ، زكوا أبدانهم

---

(١) في المطبوع : « الجنة » .
(٢) من المطبوع .
(٣) في المطبوع : « إليك » .
(٤) في المطبوع : « شوقًا إليَّ وحبًّا لي » .
(٥) في المطبوع : « عز وجل فيقول » .
(٦) في المطبوع : « وأبيحك » .
(٧) في المطبوع : « أقوام » .
(٨) في المطبوع : «ظلم » .

بترك المطعم والمشرب شوقًا إلى النظر إلى وجهه الكريم، أولئك الآمنون يوم (تعني)[1] الوجوه للحي القيوم » .

ومن طريق إسحاق بن نوح ، عن رجل من السكاسك ، عن عبد الله بن ضمرة عن كعب قال : « إني لأجد نعت قوم يكونون في هذه الأمة بمنزلة الرهبانية ، قلوبهم نور ، وأفواههم نور ، تنطق ألسنتهم بنور الحكمة ، تعجب الملائكة من اجتهادهم واتصالهم بمحبة الله - عز وجل » [2] .

وروينا من رواية أحمد بن الفتح قال : « رأيت بشر بن الحارث في منامي فقلت له : ما فعل معروف [ق/١١٥] الكرخي؟ فحرك رأسه ثم قال : هيهات حالت بيننا وبينه الحجب ! إن معروفًا لم يعبد الله شوقًا إلى جنته ولا خوفًا من ناره [3] ، وإنما عبده شوقًا إليه ، فرفعه الله - تعالى - إلى الرفيق الأعلى » .

وقال الحافظ أبو نعيم : [حدثت عن المهلبي] [4] قال الأنصاري : « رأيت معروف الكرخي في النوم كأنه تحت العرش (والله - تعالى - يقول)[5]: ملائكتي، من هذا ؟ فقالت الملائكة : أنت أعلم ، هذا معروف الكرخي قد سكر من حبك لا يفيق إلا بلقائك » .

وفي الباب حديث مرفوع طويل وهو حسن المتن إلا أنه لا يصح تركنا ذكره لذلك.

وقال إبراهيم بن بشار الخراساني سمعت إبراهيم بن أدهم يقول : «بؤسًا لأهل النار لو نظروا إلى زوار الرحمن وقد حملوا على النجائب يزفونهم إلى الله زفًا وحشروا وفدًا ، وقد نصبت لهم المنابر ووضعت لهم الكراسي ، وقد أقبل

(١) في المطبوع : « تعنوا » .
(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٥/ ٣٨١).
(٣) سبق بيان أن هذا الكلام مخالف للهدي الصحيح .
(٤) من الحلية .
(٥) في المطبوع : «فيقول الله » .

عليهم الجليل ـ جل جلاله ـ بوجهه ليسرهم وهو يقول لهم « إليَّ عبادي ، إليَّ عبادي ، إليَّ أوليائي المطيعين ، إليَّ أحبابي المشتاقين إليّ أصفيائي المحزونين ، ها أنا ذا فاعرفوني ، من كان منكم مشتاقًا أو محبًا متملقًا فليستمتع بالنظر إلى وجهي الكريم ، فوعزتي وجلالي لأفرحنكم بجواري ، ولأسرنكم بقربي (ولأبيحنكم)[1] كرامتي من الغرفات تشرفون وعلى الأسرة تتكئون ، تقيمون في دار المقامة أبدًا لا تظعنون ، وتأمنون فلا تخافون ، تصحون فلا تسقمون ، تنعمون في رغد العيش لا تموتون ، وتعانقون الحور الحسان فلا تملون ولا تسأمون، كلوا واشربوا هنيئًا ، وتنعموا كثيراً بما أنحلتم الأبدان وأنهكتم الأجسام ولزمتم الصيام وسهرتم بالليل والناس نيام » .

قال وسمعته يقول : « لا تنال جنته إلا بطاعته ولا تنال ولايته إلا بمحبته . ولا تنال مرضاته إلا بترك معصيته ، والله ـ تعالى ـ قد أعد المغفرة للأوابين ، وأعد الرحمة للتوابين ، وأعد الجنة للخائفين ، وأعد رؤيته للمشتاقين ، وأعد الحور للمطيعين » .

* * *

(١) في المطبوع : « ولأمنحنكم » .

الباب الثاني عشر
في نبذ من كلام أهل المحبة وتحقيقهم تقوى به القلوب على سلوك طريقهم

[ق/١٥ب] قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في « قوله تعالى ﴿الْوَدُودُ﴾ [البروج: ١٤] قال يقول : الحبيب » .

خرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١) .

وفي حديث أبي جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية - أو غيره - عن أبي هريرة في « قصة الإسراء الطويلة في ذكر سدرة المنتهى ، قال : فيغشاها نور الخالق وغشيتها الملائكة مثل الغربان حين يقعن على الشجرة من حب الله - جل ثناؤه » (٢) .

قال الجوزجاني : حدثنا أبو صالح أن معاوية حدثه عن يزيد بن ميسرة أنه

---

(١) انظر الدر المنثور للسيوطي (٦/ ٢٥٦) .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ١٠) ، وأخرجه البزار (٥٥ - زوائد) قال البزار : هذا لا نعلمه يروى إلا بهذا الإسناد من هذا الوجه .

وقال الهيثمي في « المجمع » (١/ ٧٢) : رواه البزار ورجاله موثقون إلا أن الربيع بن أنس قال : عن أبي العالية أو غيره . فتابعيه مجهول .

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٣/ ٢٥) : وأبو جعفر الرازي ، قال فيه الحافظ أبو زرعة : الرازي يهم في الحديث كثيراً ، وقد ضعفه غيره أيضًا ووثقه بعضهم ، والظاهر أنه سيئ الحفظ، ففيما تفرد به نظر .

وهذا الحديث في بعض ألفاظه غرابة ونكارة شديدة ، وفيه شيء من حديث المنام من رواية سمرة بن جندب في المنام الطويل عند البخاري ، ويشبه أن يكون مجموعًا من أحاديث شتى أو منام أو قصة أخرى غيرالإسراء ، والله أعلم .

سمع أبا الدرداء يقول : « لما أهبط الله آدم إلى الأرض قال له : يا آدم ، أحبني وحببني [إلى خلقي] [1] ولا تستطيع ذلك إلا بي ، ولكني إذا رأيتك حريصاً على ذلك أعنتك عليه ، فإذا فعلت ذلك (تجد) [2] به اللذة والنضرة وقرة العين (والاطمأنينة)[3] .

وقال خليد العصري : « يا إخوتاه ، هل منكم من أحد إلا يحب أن يلقى حبيبه؟ الا فأحبوا ربكم - عز وجل - وسيروا إليه سيراً كريمًا » .

خرجه الإمام أحمد ، وخرجه أبو نعيم ، وفي رواية له : « فأحبوا الله وسيروا إليه سيراً جميلا لا مصعداً ولا مميلا » .

وخرج ابن أبي الدنيا [4] من طريق ابن لهيعة ، حدثني عبد الحميد بن عبد الله بن إبراهيم القرشي ، عن أبيه قال : « لما نزل بالعباس بن عبد المطلب الموت قال لابنه عبد الله : إني موصيك بحب الله وحب طاعته ، وخوف الله وخوف معصيته ، وإنك إذا كنت كذلك لم تكره الموت متى أتاك » .

وقال أحمد بن أبي الحواري : حدثنا أبو صالح الخراساني ، حدثنا إسحاق ابن نجيح ، عن إسماعيل الكندي قال : « جاء رجل من البصرة إلى طاوس ليسمع منه ، فوافاه مريضًا فجلس عند رأسه يبكي ، فقال : ما يبكيك ؟ ! قال : والله ما أبكي على قرابة بيني وبينك ولا على دنيا جئت أطلبها منك ، ولكن على العلم الذي جئت أطلب منك يفوتني ! فقال له طاوس : إني موصيك بثلاث كلمات إن حفظتهن علمت علم الأولين و[علم] [5] الآخرين ، وعلم ما كان ،

---

(١) من المطبوع .
(٢) في المطبوع : « فَخُذْ» .
(٣) في المطبوع : « الطمانينة » .
(٣) في كتاب « المحتضرين » (٣١١) .
(٤) من المطبوع .
(٥) أما علم ما يكون فهو من الغيبيات التي لم يطلع الله عليها أحداً إلا من ارتضى من رسله ، فهو سبحانه يطلعهم على بعض الأمور الغيبية .

وعلم ما يكون : خف الله حتى لا يكون عندك شيء أخوف [ق/١١٦] منه ، وارج الله حتى لا يكون عندك شيء أرجا منه ، وأحب الله حتى لا يكون شيء أحب إليك منه ؛ فإذا فعلت ذلك علمت علم الأولين ، وعلم الآخرين ، وعلم ما كان ، وعلم ما يكون . فقال : لا جرم لا سألت أحدًا بعدك عن شيء ما بقيت».

وعن إبراهيم بن الأشعث قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول : « مر عيسى ـ عليه السلام ـ بثلاثة من الناس نحلت (أبدانهم) (١) وتغيرت ألونهم فقال : ما الذي (بَلَّغَكُمْ) (٢) ما أرى ؟! قالوا : الخوف من النيران . قال : مخلوقًا خفتم وحق على الله أن يؤمن الخائف . ثم جاوزهم إلى ثلاثة أخر ؛ فإذا هم أشد تغيرًا وأنحل أجسامًا ، فقال : ما الذي (بَلَّغَكُمْ) (٢) ما أرى ؟! قالوا : الشوق إلى الجنة. قال : مخلوقًا اشتقتم وحق على الله أن يعطيكم ما رجوتم ، ثم جاوزهم إلى ثلاثة أخر ؛ فإذا هم أشد تغيرًا وأنحل أجسامًا ، كأن على وجوههم المرايا من النور. فقال : ما الذي (بَلَّغَكُمْ) (٢) ما أرى ؟ ! قالوا : حب الله ـ عز وجل ـ قال : أنتم المقربون، أنتم المقربون ، أنتم المقربون » (٣) .

وروى إبراهيم بن الجنيد بإسناده عن محمد بن كعب قال : « أوحى الله إلى موسى ـ عليه السلام ـ : إن إبراهيم ـ عليه السلام ـ لم يحبني أحد من خلقي كحبه إياي » .

وعن أبي حازم القيساري قال : « مكتوب في الإنجيل : يا عيسى ، الحق

---

(١) في المطبوع : « أجسامهم » .

(٢) في المطبوع : « بلغ بكم » .

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٧/١٠) من حديث إسحاق بن خلف.. فذكره . وهو منقطع بين الرواي وعيسى عليه السلام .

قال الشيخ مجدي قاسم في تعليقه على هذا الموضع من الكتاب : خوفنا الله من النار فوجب علينا أن نخاف ، وشوقنا إلى الجنة فحق علينا أن نشتاق . والحب كالطير له جناحان، وجناحاه الخوف والرجاء فلا يطير إلا بهما .

والحق أقول : إني أحب إلى عبدي من نفسه التي بين جنبيه» .

وعن ابن عيينة، عن رجل، عن يحيى بن أبي كثير اليمامي قال: « نظرنا فلم نجد شيئًا يتلذذ به المتلذذون أفضل من حب الله ـ عز وجل ـ وطلب مرضاته».

وعن سعيد بن عامر ، عن محمد بن ليث ، عن بعض أصحابه قال : « كان حكيم بن حزام يطوف بالبيت ويقول : لا إله إلا الله ، نعم الرب ونعم الإله ، أحبه وأخشاه» .

وعن بكر المزني قال : « ما فاق أبو بكر أصحاب محمد ﷺ بصوم ولا صلاة ولكن بشيء (كان) [1] في قلبه » .

قال إبراهيم : بلغني عن ابن علية « أنه قال في عقيب هذا الحديث : الذي [ق/١٦ب] كان في قلبه الحب لله ـ تعالى ـ والنصيحة في خلقه» .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا هارون بن سفيان ، حدثنا عبد الله بن صالح ، أخبرني بعض أهل البصرة قال : « لما استقضى سوّار بالبصرة كتب إليه أخ له كان يطلب العلم معه وكان ببعض الثغور : أما بعد ؛ أوصيك بتقوى الله الذي جعل التقوى عوضًا من كل فائت من الدنيا ، ولم يجعل شيئًا من الدنيا يكون عوضًا من التقوى ؛ فإن التقوى عقيدة كل عاقل مستبصر إليها يستروح وبها يستن ، ولم يظفر أحد في عاجل هذه الدنيا وآجل الآخرة بمثل ما ظفر به أولياء الله الذين شربوا بكأس حبه فكانت قرة أعينهم فيه ، وذلك أنهم أعملوا أنفسهم في جسيم الأدب وراضوها رياضة الأصحاء الصادقين ، فطلقوها عن فضول الشهوات وألزموها الفوت المقلق ، وجعلوا الجوع والعطش شعاراً لها برهة من الزمان حتى انقادت وأذعنت وعزفت لهم عن فضول الحطام ، فلما ظعن حب فضول الدنيا من قلوبهم ، وزايلتها أهواؤهم وانقطعت أمانيهم وصارت الآخرة نصب أعينهم ومنتهى أملهم ، ورث الله قلوبهم نور الحكمة ، وقلدها قلائد العصمة ، وجعلهم دعاة لمعالم الدين يلمون منه الشعث ، ويشعبون منه الصدع ، لم يلبثوا إلا يسيراً

(١) في المطبوع :« وقر »

حتى جاءهم من الله موعود صادق اختص به العاملين له ، والعالمين به دون من سواهم ، فإذا سرك أن تسمع صفة الأبرار الأتقياء ، فصفة هؤلاء فاستمع ، وشمائلهم الطيبة فاتبع ، وإياك يا سوار وبنيات الطريق والسلام » .

وخرج أبو نعيم بإسناده عن الربيع بن برة ، عن الحسن « في قوله تعالى : ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ [الفجر:٢٧] قال : النفس المؤمنة اطمأنت إلى الله واطمأن إليها ، وأحبت لقاء الله وأحب لقاءها ، ورضيت عن الله ورضي عنها ، فأمر بقبض روحها ، فغفر لها وأدخلها الجنة وجعلها [ق/١١٧] من عباده الصالحين» .

وروى ابن أبي الدنيا بإسناده عن مسمع بن عاصم ، عن نعيم بن صبيح السعدي قال : « همم الأبرار متصلة بمحبة الرحمن ، وقلوبهم تنظر إلى مواضع العز من الآخرة بنور أبصارهم » .

قال مسمع : « وسمعت عابداً من أهل البحرين يقول في جوف الليل : قرة عيني وسرور قلبي ، ما الذي أسقطني من عينك يا مانح العصم . ثم صرخ وبكى، ثم نادى : طوبى لقلوب ملأتها خشيتك ، واستولت عليها محبتك ، فمحبتك مانعة لها من كل لذة غير مناجاتك والاجتهاد في خدمتك ، وخشيتك قاطعة لها عن سبيل كل معصية خوفًا من حلول سخطك . ثم بكى وقال : يا إخوتاه ، ابكوا على فوت خير الآخرة حيث لا رجعة ولا حيلة » .

وبإسناده عن أيوب بن خوط عن قتادة قال : « كان في حفرة عتيب شيخ يقال له ميسور بن محمد ، وكان لا يقدر أن يسمع القرآن من شدة خوفه وكان يقول : سيد الأعمال : التقوى ثم البذل ، ثم بعد البذل الشكر ، ثم بعد الشكر الرضا، ثم بعد الرضا التعظيم ، ثم بعد التعظيم الحب لله والإجلال له » .

ومعنى هذا أن درجة الحب المستحبة التي ذكرناها في أول الكتاب متأخرة عن درجة الشكر والرضا والتعظيم والبذل .

أما الواجبة فإنها (داخلة) [1] في التقوى ، كما سبق بيانه .

(١) في المطبوع :« تدخل » .

[الخوف والحب] [1]

ولذلك كان السلف يقدمون درجة الخوف على الشوق ، كما روى ابن أبي الدنيا بإسناده عن واقد العابد مولى أم البنين قال : « قال لي رجل من العباد : ما رأيت القلوب بشيء أنقى جلاء منها بالخوف . قلت : فالشوق ؟ قال : قد يشتاق وصدى الرين على قلبه » .

قال : والرين يعني الذنب على الذنب . وكذلك كانت حالة العلماء الربانيين كالحسن وسفيان وأحمد وغيرهم ، يظهر عليهم الخوف ولوازمه ويكثر كلامهم فيه ويقل كلامهم في المحبة وظهور آثارها [ق/١٧ب] عليهم أيضًا ، حتى حذر طوائف من العلماء ممن يكثر دعوى الشوق والمحبة بغير خوف لما ظهر منهم من الشطح والدعاوي ؛ بل والإباحة والحلول وغير ذلك من المفاسد ، والله - سبحانه - أعلم.

ولهذا « كان أبو عبد الله بن الجلاء - وكان من كبار العارفين - إذا سئل عن المحبة قال : أنا ما لي وللكلام في المحبة ، وأنا أريد أن أتعلم التوبة » .

ويقال : إن أول من أظهر الكلام في المحبة والشوق وجمع الهمة وصفاء الفكر ، وتكلم به على رؤس الناس : أبو حمزة الصوفي ، وكان من أعيان العارفين أيضًا ، وكان يجتمع بالإمام أحمد كثيرًا ، وكان أحمد يسأله ويقول [له] [2] : ما تقول يا صوفي ؟ رضي الله عنهم أجمعين .

وكان عباد البصري بعد طبقة الحسن وأصحابه كعبد الواحد بن زيد وأصحابه عتبة وضيغم وغيرهما يظهر منهم المحبة كثيرًا مع شدة الخوف أيضًا وكذلك رابعة العدوية والفضيل وداود الطائي وغيرهم .

---

(١) هذا العنوان ليس في الأصل ، وهو من تصرف محقق المطبوع .

(٢) من المطبوع .

قال إبراهيم بن الجنيد : حدثني عبد الرحيم بن يحيى الرملي ، حدثني عثمان ابن عمارة قال : قال عتبة : « من سكن حبه قلبه لم يجد حرًا ولا بردًا . قال عبد الرحيم : يعني من سكن حب الله قلبه شغله حتى لا يعرف الحر من البرد ، ولا الحلو من الحامض ، ولا الحار من البارد » .

وقال عبد الواحد بن زيد : «كان عتبة يجيء إلى المسجد يوم الجمعة وقد أخذ الناس الظل ، فيقوم على الحصى ويسجد السجدة الطويلة . قال عبد الواحد : ما أراه يعقل بحره » . وسمع عتبة قائلا يقول : « سبحان جبار السماء إن المحب لفي عناء . فقال عتبة : صدقت والله ! وغشي عليه » .

وقال ضيغم [يومًا] [1] لمولى له : « منعني والله حب الله من الاشتغال بحب غيره ! ثم سقط مغشيًا عليه » .

وكان كَلاَّبُ بن جُرَي العابد يقول في سجوده : « وعزتك لقد خالط قلبي من محبتك أمر يكل لساني عما أجد منه في نفسي » .

وقدمت شعوانة العابدة وزوجها مكة فجعلا يطوفان ويصليان ، فإذا [ق/١١٨] كلّ أو أعيا جلس وجلست خلفه ، فيقول هو في جلوسه : « أنا العطشان من حبك لا أُرْوَى . وتقول هي بالفارسية : يا سيدي أنبتّ لكل داء دواء في الجبال، ودواء المحبين في الجبال لم ينبت » .

ودخلوا على عابد بالبصرة وهو يجود بنفسه ويقول : « أنا عطشان لم أرو من حب ربي ، وجائع لم أشبع من حب ربي » .

وقال المعافى بن عمران : « كلمت فتحًا الموصلي يومًا في شيء ، فقال : لم تترك المحبة لله في قلوب أوليائه موضعًا لمحبة غيره » .

وقال أبو معمر : « نظرت رابعة يومًا إلى رياح القيسي [وهو] [1] يقبل صبيًا صغيرًا من أهله ، فقالت : أتحبه يا رياح ؟ قال : نعم . قالت : ما كنت أحسب

(١) من المطبوع .

أن في قلبك موضعًا فارغًا لمحبة سواه ! فخر رياح مغشيًا عليه ، ثم أفاق وهو يمسح العرق عن وجهه وهو يقول : رحمة جعلها الله في قلوب عباده للأطفال ».

وقال حذيفة المرعشي : « رأيت رجلا بالرقة وبين يديه صَبِيَّان يلعبان ويقتتلان وهو يتشاغل بها فزجرهما ونهاهما . فقلت [له] [1] : إني أحسبك تحبهما ؟ ! قال : « لا والله ما أحبهما ، ولكن أرحمهما ؛ وما أحد أحبّ إليّ من الله ـ عز وجل » .

ثم اتسع الكلام في المحبة من زمن أبي سليمان الداراني وأصحابه بالشام كأحمد بن أبي الحواري وقاسم الجوعي .

وكان قاسم الجوعي يقول : « شبع الأولياء بالمحبة عن الجوع ، ففقدوا لذاذة الطعام والشراب والشهوات ولذات الدنيا ؛ لأنهم تلذذوا بلذة ليس فوقها لذة فقطعتهم عن كل لذة » .

وبالعراق في زمن السري وأصحابه كالجنيد وأصحابه ، وبمصر في زمن ذي النون وأقرانه .

وكان بعض من يذكر بالمحبة ربما حصل له وسوسة ونوع تغير عقل، كسعدون وسمنون ، وكان [سمنون] [2] شديد المحبة [ربما حصل له وسوسة] [1] ، ويقال أنه تكلم يومًا في المحبة فاصطفقت قناديل المسجد حتى تكسرت ، وأنه تكلم يومًا فيها فجاء طائر فضرب بمنقاره الأرض حتى مات؛ وكذلك كان ربما حصل للشبلي نوع [ق/١٨ب] تغير .

ومما ينسب من الشعر إلى بعض هذه الطبقة:

هجرت الورى في حب من جاد بالنعم وعفت الكرى شوقًا إليه فلم أنم
وموهت دهري بالجنون عن الورى لأكتم ما بي من هواه فما انكتم

(١) من المطبوع .
(٢) في المخطوط : « ميمون » والتصويب من الاستقامة لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (٢ / ٨٩).

فلما رأيتُ الشوق بالحب بائحا كشفت قناعي ثم قلت نعم نعم
فإن قيل مجنون فقد جنني الهوى وإن قيل مسقام فما بي من سقم
وحق الهوى والحب والعهد بيننا وحرمة روح الأنس في حندس[1] الظلم[2]
لقد لامني الواشون فيك جهالةً فقلت لطرفي أفصح العذر فاحتشم
فعاتبهم طرفي بغير تكلم وأخبرهم أن الهوى يُورثُ السقم
فبالحلم ياذا المنِّ لا تبعدنني وقربْ مزاري منك يا بارئ النِسم

وكان بعض هؤلاء يقول : « إذا بك لم أجن يا حبيبي فبمن ؟ ! » .

ومن هؤلاء من كان يسمى مجنونًا كسعدون وغيره ، ويسمون أيضًا « عقلاء المجانين » وكانت أقوالهم و[أحوالهم] [3] محفوظة غالبًا ، ويصدر منهم من الكلام الحسن شيء كثير .

* * *

(١) الحِنْدِس : الليل المظلم والظلمة . القاموس المحيط مادة « حندس » .
(٢) الظُلَم : ثلاث ليال يلين الدُرَع ، والدُرع : ثلاث ليالٍ يلين البيض ، والبيض : هي الثالث عشر إلى الخامس عشر من الشهر الهجري .
(٣) في المطبوع : « وأفعالهم » .

[مفهوم جيد] (*)

وقد غلط طوائف من المتأخرين في أمرهم فظنوا أن حالهم هو غاية الكمال، وأن العقلاء كلهم من العلماء بالله ، والعمال لله مقصرون عن درجتهم ، وهذا خطأ قبيح جدًا . ثم أدخلوا في طبقتهم من ليس منهم من المجانين الذين لا حكمة لديهم ولا ظهر شيء من الأحوال الصحيحة [عليهم] (1) وإنما تظهر منهم مخالفة الشريعة بالأعمال والأقوال الشنيعة ، ولكن أحسنوا الظن بهم لما يظهر من بعضهم من الإخبار بالمغيبات في بعض الأحيان ، مما قد ظهر أكثر منه من الرهبان والكهان ، ونشأ بهذا السبب اعتقاد أن الأولياء لهم طريقة غير طريقة الأنبياء ، وأنهم واقفون مع الحقيقة لا يتقيدون [ق/119] بالشريعة إلى غير ذلك من أنواع الضلال والبدع الفظيعة .

ووجد بعض من كان في صدره النفاق كامنًا من أنواع الحلولية والإباحية سبيلا إلى إظهار ما في نفوسهم ، فعظم الخطب بذلك واشرأب النفاق ، ولو سمع بذلك أئمة الطريق العارفون بالله كالجنيد ومن قبله لجاهدوا في الله حق جهاده في إنكار هذه العظائم ، ولن تخلو الأرض من قائم لله بحجته ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: 40] .

وقد ورد حديث : « إن أكثر أهل الجنة البُله » .

وله طريقان ضعيفان :

أحدهما : مسند من حديث أنس (2) ، والآخر : مرسل من مراسيل عمر بن

(*) هذا العنوان من تصرف محقق المطبوع .

(1) من المطبوع .

(2) أخرجه البزار (1983 ـ كشف) وابن عدي في الكامل (3/313) .

قال البزار : قد روي بعضه مرفوعًا من وجوه ، وبعضه لا نعلمه إلا من هذا الوجه ، =

عبد العزيز[1] .

قد رواه أحمد بن أبي الحواري بإسناده إلى عمر مرسلا، ثم قال مفسراً له : البُله عن الشر وأعلى عليين لأولي الألباب . يشير إلى أن درجة العقلاء أكمل وأعلى من درجة هؤلاء ، وبيَّن أن المراد : البله عن الشر الذين لا يعرفونه من شدة سلامة صدورهم ، وإنما يعرفون الخير فقط .

وروى ابن أخي ابن وهب عن عمه عبد الله بن وهب ، قال : « سألت مالكًا عن تفسير قول النبي ﷺ: **أكثر أهل الجنة البله** . فقال : الأبله مثل عبد الله ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ كان أبله في معاصي الله ، فطنًا فيما يرضي الله ، مسارعًا إلى ما يرضي الله ، بطيئًا عن محارم الله ، لا تأخذه في الله لومة لائم ».

ثم رواه الحسن بن حبيب الدمشقي عن عبد الله بن عبد الحميد عن ابن أخي ابن وهب به .

وكذلك روي تفسيره عن الأوزاعي ، قال إسحاق بن راهويه في «مسنده » : حدثنا بقية بن الوليد قال : حدثنا الأوزاعي عن أبي يزيد العوفي قال : قال رسول

= وسلامة هو ابن أخي عقيل ، ولم يتابع على حديثه : « **أكثر أهل الجنة البله** » على أنه لو صح كان له معنى. وقال ابن عدي : وهذا الحديث بهذا الإسناد منكر لم يروه عن عقيل غير سلامة هذا.

وأخرجه أبو موسى المديني في « اللطائف » (ق/١٧٥) بتحقيقي وفيه متابعة ابن عيينة لسلامة بن روح ولكن أبا موسى المديني قال : حديث غريب جداً من حديث ابن عيينة عن الزهري ، وإنما يعرف هذا من رواية سلامة بن روح .

وذكر هذا الحديث ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٤ / ٣٠٢) في ترجمة سلامة ابن روح وذكر قول أبيه عنه : ليس بالقوي ، محله عندي محل الغفلة . وقول أبي زرعة : أيلي ضعيف منكر الحديث .

(١) قال العلامة الألباني ـ رحمه الله ـ في تخريجه للعقيدة الطحاوية (ص٥٠٩) : رواه عبد الوهاب الكلابي في « حديثه » (ق/١٧٦/ ٢) بسنده عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، عن أبيه ، وعبد العزيز صدوق يخطئ كما في التقريب ، وفيه من لم أجد من ترجمه .

الله ﷺ : « أكثر أمتي دخولا الجنة البله . قال : سألت الأوزاعي عن البله ؟ قال: الذين يعرفون الخير ولا يعرفون الشر » .

وهذا مرسل أيضًا .

* * *

فصل

[الخاتمة] (*)

ولنختم الكتاب بكلمات جوامع من أمر المحبة وأبيات [ق/١٩ب] (رائقة)(١) متضمنة لها .

روى الإمام أحمد في « كتاب الزهد »(٢) بإسناده عن عطاء بن يسار قال : «قال موسى ـ عليه السلام ـ :يا رب ، من أهلك الذين هم أهلك الذين تظلهم في ظل عرشك ؟ قال : هم البريئة أيديهم ، الطاهرة قلوبهم ، الذين يتحابون بجلالي، الذين إذا ذكرت ذكروا بي ، وإذا ذكروا ذكرت بذكرهم ؛ الذين يسبغون الوضوء في المكاره ، وينيبون إلى ذكري كما تنيب النسور إلى وكورها ، ويكلفون بحبي كما يكلف الصبي بحب الناس ، ويغضبون لمحارمي إذا استحلت كما يغضب النمر إذا حرب » .

وفي « كتاب المحبة » لإبراهيم بن الجنيد عن أحمد بن مخلد الخراساني قال : « قال الله ـ عز وجل ـ : ألا قد طال شوق الأبرار إلى لقائي وأنا إليهم أشد شوقًا ، وما شوق المشتاقين إليّ إلا بفضل شوقي إليهم ، ألا من طلبني وجدني ، ومن طلب غيري لم يجدني ، ومن ذا الذي أَقْبَلَ إليَّ فلم أُقْبِلْ إليه ، ومن ذا الذي توكل عليَّ فلم أكفه ، ومن ذا الذي دعاني فلم أجبه ، ومن ذا الذي سألني فلم أعطه؟».

قال أحمد بن أبي الحواري : حدثنا عمر بن سلمة السراج ، عن أبي جعفر

(*) هذا العنوان من تصرف محقق المطبوع .

(١) في المطبوع : « رقائق » .

(٢) (ص ٩٥) طبعة الريان . وإسناده منقطع بين عطاء بن يسار وموسى عليه السلام .

المصري قال : « قال الله ـ عز وجل ـ : يا معشر المتوجهين إليَّ بحبي ، ما ضركم ما فاتكم من الدنيا إذا كنت لكم حظًا ، وما ضركم من عاداكم إذا كنت لكم سِلْمًا» وفي هذا المعنى يقول القائل :

هنيئًا لمن (أمسى) [١] وأنت حبيبه ولو أن (نيران) [٢] الغرامِ تذيبهُ
وطوبى لصب أنت ساكن سره ولو بان عنه إلفه وقريبه
وما ضر صَبًّا أن يبيت وماله نصيبٌ من الدنيا وأنتَ نصيبهُ
ومن تكُ راضٍ عنه في طي غيبه فما ضره في الناس من يستغيبه
فيا علةً في الصدر أنتَ شفاؤها ويا مرضًا في القلب أنت طبيبه
[ق/ ٢٠أ] عُبيدُك في باب الرجا مُتضرعٌ إذا لم تجبه أنت من ذا يجيبه
بعيدٌ عن الأوطان يبكي بذلةٍ وهل ذاق طعم الذل إلا غريبه
تصدَّق على من ضاع منه زمانه ولم يدر حتى لاح منه مشيبه
غدا خاسرًا فالعار يكفيه والعنا وقد آن من ضوء النهار مغيبه

ومما أنشده (أبو زيد) [٣] النجراني ـ من المتقدمين ـ رحمة الله عليه :

محبٌ نفى ما التذ من غمضه الفكر وأعقبه ضرًا فأنهكه الضرُّ
وبات يراعي أنجما [من] [٤] بعد أنجم ويرعدُ من خوفٍ إلى أن بدا الفجرُ
ويخدم مولاه بالطف خدمة ويُسعده في حسن خدمته الصبرُ
به وبمن ساواه في الزهد والتقى إذا الجدبُ عمَّ الأرض يستنزل القطرُ
محب خلا بالحب خلوة واجد خلا بحبيب والظلام له ستر

(١) في المطبوع : « أضحى » .
(٢) في المطبوع : « لوعات » .
(٣) في المطبوع : « أحمد بن زيد » .
(٤) من المطبوع .

يقول بذلتُ الحبَّ يا منتهى المنى ويا نور قلبي أنت لي سيدي ذُخرُ
فلا تُخْزِني يا رب وارحم تضرعي فقد وعظيم العفو أثقلني الوزر
وقد خفت من يوم المعادِ مخافةً تيقنت أني ليس لي فيهما عذر
بفضلك زدني منك قربًا وأدنني إليك دُنوًا لا يغيره الدهر
مُرَادي سقامي في الهوى هو قاتلي وبين سقامي والشفاء ينفذ العمر
وفي كبدي مما أقاسي من الهوى ومن (لوعات)[1] الحبِّ يا واحدي جَمر
غزا الحب قلبي قاصدًا بجيوشه ليأسره قسرًا فأذهله الأسرُ
(وحبك)[2] لا أنساك ما دمتُ باقيًا وهل يتسلى من محبته فخر

وأنشدت بعض العارفات

[ق/ ٢٠ب] أحبك حبين حب الوداد وحب لأنك أهل لذكا
فأما الذي هو حب الوداد فحب شغلت به (عَنْ)[3] سواكا
وأما الذي أنت أهلٌ له فكشفك الحجب حتى أركا
فما الحمد في ذا ولا ذاك لي ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

وأنشدت أخرى منهن :

حبيب ليس يعدلُهُ حبيب ولا لسواه في قلبي نصيبُ
حبيبٌ غاب عن بصري وشخصي ولكن عن فؤادي ما يغيب

وأنشد بعض المحبين :

أعميت عيني عن الدنيا وزينتها فأنت والروح مني غير مفترق
إذا ذكرتك وفي مقلتي أرقٌ من أول الليل حتى مطلعِ الفلق

(١) في المطبوع : « زفرات » .
(٢) في المطبوع : « وحقك » .
(٣) في المطبوع : « عمن » .

وما تطابقت الأجفان عن سنةٍ إلا رأيتك بين الجفن والحدق
ارحم حشاشة نفس فيك قد تلفت قبل (الممات)[1] فهذا آخرُ الرمقِ
ولو مضى الكل مني لم يكن عجبًا وإنما عجبي في البعض كيفَ بقى

وأنشد بعضهم :

والله ما طلعت شمسٌ ولا غربت إلا وأنت حديثي بين جُلاسي
ولا هممت بشرب الماء من عطش إلا رأيت خيالا منك في الكاس

ولبعضهم :

ساكن في القـلب يعـمرهُ لسـتُ أنسـاه فـأذكرهُ
غَابَ عن سمعي وعن بصري فسويداء القلب يبصره

[ق/١٢١]وأنشد آخر منهم :

من عامل الله بتـقواه وكان في الخـلوة يرعاهُ
سقاه كأسًا من صفـاء حبِهِ يسليه عـن لـذةِ دُنياه
فأبعدَ الخلقَ واقصـاهم وانفرد العـبدُ بمـولاه

وأنشد بعضهم أيضًا :

أنت تدري يـا حبيـبي [من][2] حبيبـي أنـت تدري
ونحـول الجـسم والدمـع يبـوحان بسـري
يا عزيزي قد كتمت الحـبً حتى ضاق صدري

وأنشد بعضهم أيضًا :

أبى الحبُّ أن يخفى وكمْ قدْ كتمته فأصبح عندي قد أناخَ وطنبا

---

(١) في المطبوع : « الفراق » .
(٢) في الأصل : « يا » والمثبت من المطبوع .

إذا اشتدَّ شوقي هام قلبي بذكره وإن رُمْتُ قربًا من حبيبي تقربا
ويبدو فأفنى ثم أحيا (به له)[1] فيســـــعدني حتى ألذَّ وأطربا

سئل إبراهيم القصاب : « هل يبدي المحب [حبه] [2] أو هل ينطق به ، أو هل يطيق كتمانه ؟ فتمثل بهذين البيتين :

ظفرتم بكتمان اللسان فمن لكم بكتمان عين دمعها الدهر يذرف
حملتُ جبالَ الحبِّ فوقي وإنني لأعجزُ عن حمل القميص وأضعف

ومن كلام يحيى بن معاذ الرازي : « لو سمع (الخلائق) [3] صوت النياحة على الدنيا في الغيب من ألسنة الفناء لتساقطت القلوب منهم حزنًا ، ولو رأت العقول بعيون الإيمان نزهة الجنة لذابت النفوس شوقًا ، ولو أدركت القلوب كنه المحبة لخالقها [ق/٢١ب] لتخلعت مفاصلها ولَهًا وطارت الأرواح إليه من أبدانها دهشًا فسبحان من أذهل الخليقة عن كنه هذه الأشياء وألهاهم بالوصف عن حقائق هذه الأنباء » .

أروحُ وقد ختمت على فؤادي بحبك أن يحلَّ به سواكا
فلو أني استطعت غَضَضْتُ طرفي فلم أبصر به حتى أراكا
أحبك لا ببعضي بل بكلي وإن لم يبق حبك لي حراكا
ويقبح من سواك الفعل عندي وتفعله فيحسن منك ذاكا
وفي الأحباب مخصوص بوجدٍ وآخرُ يَدَّعي معه اشتراكا
إذا اشتبكت خدودٌ في دموع تبين من بكا ممن تباكا
فأما من بكى فيذوب وجدًا وينطق بالهوى من قد تشاكا

تم الكتاب، والحمد لله الملك الوهاب، وصلى الله على محمد سيد الأحباب.

---

(١) في المطبوع : « يقربه » .
(٢) من المطبوع . (٣) في المطبوع : « الناس » .